جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

(التدابير الوقائية من الأمراض والآفات في ضوء القرآن الكريم)

"دراسة موضوعية"

إعداد الباحثة

آمنة أحمد أحمد عبد الوارث

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، المدنية، سوهاج، مصر

(التدابير الوقائية من الأمراض والآفات في ضوء القرآن الكريم)

" دراسة موضوعية "

آمنة أحمد أحمد عبد الوارث

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، المدنية، سوهاج، الدولة مصر.

البريد الإلكتروني: aamenawaris. 79 @azhar.edu.eg

الملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع التدابير الوقائية من الأمراض والآفات في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية". ببيان مفهومها، وتحديد العلاقة بين الأمراض والآفات، ومكانة الوقاية في الإسلام، من خلال إن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، وذلك يشمل جميع أمراض القلوب؛ فهو يوضح أمراض القلوب ويشخصها، ويرشد العباد إلى كل وسيلة يحصل بها زوالها وشفاؤها، ويرشدهم إلى قلعها بالعلوم النافعة واليقين الصادق، وسلوك الطرق الصحيحة المزيلة لهذه العلل، فهو منهج يقيم الحواجز ويبني الموانع بين الإنسان و بين سبل الغواية، واقيا له من الضرر الواقع أو المتوقع من خلال تدابير وقائية، وتوجيهات متكاملة؛ ضامنة للنتائج علي المستويين الفردي والجماعي، وأبرزت الدراسة تواجد التدابير الوقائية في العبادات، والتدابير الوقائية الخاصة بصحة الفرد وحمايته من الأمراض والآفات عن طريق التغذية الصحية الوقائية، واجتناب المحرمات من الأطعمة والأشربة والتدابير الوقائية الخاصة بصحة المجتمع وحماية البيئة من الأمراض والآفات عن طريق بيان منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان، والنهي عن دخول الأرض الموبوءة أو الخروج منها، وقد خلصت الدراسة إلي ضرورة الأخذ بأسباب العلاج في حال المرض، وإلي أن القرآن الكريم يستطيع الإنسان أن يحتمي به من مخاطر كل الهجمات

المتتالية على نفسه وقلبه، فيقي القلب من الأمراض والآفات التي يتعرض لها، فهو كتاب ومنهج أنزله رب العالمين على قلب محمد (ﷺ)؛ ليكون لعباده هاديا ونذيرا وشفاء لما في الصدور.

الكلمات المفتاحية: التدابير الوقائية- الوقاية من الأمراض – الوقاية في القرآن الكريم – الوقاية في العبادات – المحافظة على الصحة- الوقاية خير من العلاج.

Preventive Measures Against Diseases and Pests in the Light of the Holy Qur'an "Objective Study"

Amna Ahmed Ahmed Abdel-Wareth
Department of Interpretation and Quran Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Sohag City, gypt.
E-mail: aamenawaris.79 @azhar.edu.eg

Abstract:

This study dealt with the topic of preventive measures against diseases and pests in the light of the Holy Qur'an "objective study". By clarifying its concept, defining the relationship between diseases and pests, and the status of prevention in Islam, through the fact that the Holy Qur'an is a cure for what is in the breasts, and this includes all diseases of the heart; It clarifies and diagnoses the diseases of the hearts, and guides the servants to every means by which their demise and recovery occurs, and guides them to root them out with beneficial sciences and true certainty, and to take the correct ways that eliminate these ailments. or expected through preventive measures, and integrated directives; A guarantor of results at the individual and collective levels, and the study highlighted the presence of preventive measures in worship, and preventive measures for the health of the individual and protection from diseases and pests through preventive healthy nutrition, avoiding taboo foods and drinks, preventive measures for community health and protecting the environment from diseases and pests by explaining the Qur'an approach. In the discipline of human instincts, and the prohibition of entering or leaving the infested land, and the study concluded that it is necessary to take the means of treatment in case of illness, and that the Holy Qur'an can protect a person from the dangers of all successive attacks on himself and his heart, so that the heart

protects from diseases and pests. It is a book and a method that the Lord of the worlds revealed to the heart of Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, to be a guide, a warning, and a cure for what is in the chests.

Keywords: Preventive Measures **-** Disease Prevention **-** Prevention in the Holy Qur'an **-** Prevention in worship **-** Maintaining Health **-** Prevention is Better than Cure.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، العليم بخلقه، الرحيم بعباده، ومن رحمته أنزل شريعته ناصحة لهم، ومُصلحة لمفاسدهم، ومُقوّمة لاعوجاجهم، ومن ذلك ما شرع من التدابير الوقائية، والإجراءات العلاجية التي تقطع دابر الفتن، وتُعين على اجتناب المُوبقات رحمةً بهم، وصيانة لأعراضهم، وحماية لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. أحمده (ﷻ)، وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفي (ﷺ)، معلم الحكمة، وهادي الأمة إلي الصراط المستقيم.

وبعد،،،

فإن دين الإسلام الذي رضيه الله تعالي لعباده؛ عقيدة في القلوب، ومنهج عمل للنفس يقومها، وللمجتمع يحميه من الأمراض و الآفات، ويسير نظام أبنائه، هو الذي ينبعث من المؤثر الروحاني، ويعمق مفهوم التدين، وما ذلك إلا أن تعاليمه المستقاة من كلام الله (ﷻ)، تخاطب الوجدان، وتنفذ إلى القلب وتمتلك نتائجها المشاعر إحساسا ظاهرا، ونتيجة ملموسة؛ لأنه دين رضيه الله سبحانه لعباده، عقيدة ومنهج سلوك لخير أمة على وجه الأرض، بنعمة منه (ﷻ) وفضل، وشيء رضيه الله، لا بد أن يكون كاملا في توجيهه، متناسقا في تنظيمه، شاملا في حمايته لأبنائه، ورعاية لمصالحهم، وندرك هذا من النص الكريم: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**}[1].

(١) [المائدة: ٣].

والبشر يعتريهم القصور، وتكثر النقائص عليهم وعلى أعمالهم، ويعوزهم بعد النظرة أما ما يشرعه الله – وهو سبحانه أرأف بعباده من الأم بولدها – فلا اختلاف فيه ولا تباين مع الأزمنة والأشخاص، ولا مع اختلاف البيئات والمتطلبات. يقول تعالى: {**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**}(١).

وهذا سر من أسرار عالمية الإسلام، إذ رغم أن أنظمة البشر ووجهات نظرهم في كثير من الأمور قد تبدلت باختلاف الأمم، وتعاقب العصور، إلا أن ما شرعه الله من حدود وزواجر، وما نظمته الشريعة من جزاءات وعقوبات، فإنها قد ثبتت سلامتها في تقويم النفوس، حيث تتلاءم مع الطباع السليمة، ونجحت في حماية المجتمعات من الفوضى، فلم تكن خاصة تتلاءم مع أمة دون أمة، أو تصلح لبلد دون بلد.

ذلك؛ أن التركيب الغريزي للنفس البشرية واحد: طبعا وتهذيبا، وتأثيرا واستجابة، كما أن الماء منذ أن خلقه الله واحد في تركيبه، وفائدته، وحاجة الجسم إليه.

والله (ﷻ) هو الخالق للبشر، العالم بطبائعهم، وهو (ﷺ) الذي شرع لهم الواجبات ليتبعوها، ويتعبدوه بها، وحد الحدود لئلا ينتهكوها، ويعصوه باقترافها، وبين سبحانه المحرمات حتى لا يقعوا فيها وسكت عن أشياء رحمة بعباده غير نسيان، فيجب عدم الإلحاف بالسؤال عنها؛ حتى لا يقع التشديد على الأمة، حسبما حذر رسول الله (ﷺ) من ذلك أمته؛ لئلا يحل بها ما حل بالأمم السابقة. فإن طبق المسلمون تعاليم دينهم، وحرصوا عليها علمًا عملًا، فيوجد المجتمع الصالح الذي رسم الإسلام معالمه، وتتشوق لمثله شعوب الأرض.

---

(١) [النساء: ٨٢].

ومن الأسباب التي دفعتني إلي اختيار هذا الموضوع:

– وجود آيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة تحث على الأخذ بالتدابير الوقائية، والأخذ بأسباب العلاج في حالة المرض والشعور بالآفة.

– القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، وذلك يشمل جميع أمراض القلوب؛ فهو يوضح أمراض القلوب ويشخصها، ويرشد العباد إلى كل وسيلة يحصل بها زوالها وشفاؤها، فيذكر لهم أمراض الجهل والشكوك والحيرة وأسباب ذلك، ويرشدهم إلى قلعها بالعلوم النافعة واليقين الصادق بالله تعالي.

– مطالبة المتخصصين من العلماء والباحثين والأطباء ورجال العلم والمتخصصين في صناعة الدواء أن يضاعفوا من جهودهم والبحث العلمي في نطاق الدواء والتداوي بكل ما أشار إليه القرآن الكريم والسنة النبوية.

– ضرورة الاهتمام بصحة الإنسان فالمؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف، ومما لا شك فيه أن السعي إلي قوة البدن وقوة الصحة من أهم الأمور التي يجب أن يسعي إليها المجتمع.

– تواجد حالة الخوف والهلع الشديد عند الناس بسبب جائحة كورونا (كوفيد ١٩). وبالرجوع للكتاب والسنة والأخذ بما جاء فيهما عندما وجد مرض الطاعون وأحاديث الرسول الكريم (ﷺ) خير شاهد علي ذلك، بالإضافة إلي الإرشادات العامة للأطباء للعلاج لهذه الجائحة.

– عملية إغلاق المدارس والجامعات أدت إلي توقف العملية التعلمية، مما أدي إلي وجود التعليم عن بعد ورب ضارة نافعة.

– إغلاق المحلات ووسائل الاتصال والانتقال من بلد إلي بلد مما أدي إلي تأخر في الاقتصاد بشكل عام في البلاد. ولكن ساعد في عملية تحسين وتنقية الجو والحفاظ علي الصحة البشرية.

- الجهل بأمور الدين في النواحي الشخصية التي قد تؤدي إلي العديد من الأمراض وبإتباع تعاليم الإسلام المتمثلة في الكتاب والسنة يكون العلاج الشافي المعافي بإذن الله تعالي.

- من أجل ذلك وغيره أحببت السير في غمار هذا الموضوع لعل الله (ﷻ) أن يفتح علي ويوفقني فيه فأقدمه خدمة لكتابه (ﷻ).

ومنهجي في هذا البحث

الالتزام عند الكتابة في البحث بالمنهج العلمي المتبع في كتابة مثل هذه البحوث العلمية المتمثل في النقاط التالية

- جمع الآيات الكريمة التي تتحدث عن التدابير الوقائية من الأمراض والآفات.
- الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن التدابير الوقائية من الأمراض والآفات.
- وضع عنوان لكل مبحث من المباحث.
- وضع عنوان لكل مطلب من المطالب.
- الحديث عن المطلب بطريقة علمية من خلال الكتاب والسنة وأقوال العلماء.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار من مصادرها المعتمدة، والحكم عليها من خلال أقوال أهل العلم.
- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.
- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات إن وجدت.
- التعريف بالأعلام قدر المستطاع.
- إخراج موضوع (التدابير الوقائية من الأمراض والآفات) في صورة متكاملة.

خطتي في هذا البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة – وتمهيد – وثلاثة مباحث – وخاتمة – وفهرس للموضوعات والمراجع – عرضت في المقدمة: لمحة سريعة عن مضمون هذا البحث ومحتواه – ومصادره، وأسباب اختياري للموضوع، ومنهجي في البحث.

أما **التمهيد** فقد احتوي علي:

معني التدابير الوقائية –التعريف بالأمراض والآفات والفرق بينهما –مكانة الوقاية في الإسلام.

وأما المباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التدابير الوقائية في العبادات

ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** التدابير الوقائية في الطهارة.
- **المطلب الثاني:** التدابير الوقائية في الصلاة.
- **المطلب الثالث:** التدابير الوقائية في الزكاة.
- **المطلب الرابع:** التدابير الوقائية في الصيام.
- **المطلب الخامس:** التدابير الوقائية في الحج.

المبحث الثاني: وقاية القرآن لصحة الفرد وحمايته من الأمراض والآفات ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** التغذية الصحية الوقائية.
- **المطلب الثاني:** المحرمات من الأطعمة والأشربة.

المبحث الثالث: وقاية القرآن لصحة المجتمع وحماية البيئة من الأمراض والآفات ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان.
- **المطلب الثاني:** النهي عن دخول الأرض الموبوءة أو الخروج منها.

ثم جاءت **الخاتمة** ملخصة لأهم النتائج؛ لهذا الموضوع الذي توصلت إليه، وأهم التوصيات والمقترحات التي رأيت فيها إثراءً للمكتبة، خدمة لكتاب الله العزيز، وسنة حبيبه (ﷺ).

ثم ختمت بحثي بفهارس وهي على النحو الآتي

- فهرس المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم.
- فهرس الموضوعات مرتبة علي حسب الموضوعات الواردة في البحث.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولي ونعم النصير.

الدراسات السابقة

كتب الباحثون دراسات متنوعة لهذا الموضوع حيث يعد موضوع "التدابير الوقائية" من الموضوعات القديمة والحديثة في نفس الوقت؛ لأنه قديم في تاريخه حديث في جمعه وتناوله وتطوره في العصور الحديثة، وبالبحث والاطلاع لم أجد من تناول البحث من منظور الجمع بين الأمراض والآفات في ضوء القرآن الكريم" حيث تعددت دراساته وكثرت ولا يزال به الكثير والكثير ولكن من هذه الدراسات لم اطلع إلا علي: -"الأحكام الفقهية المتعلقة بالطب الوقائي بين الأصالة والمعاصرة دراسة فقهية وطبية مقارنة" د. علي محمد علي الصياد الأستاذ المشارك في كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد – أبها – برقم (٣٣٤) لعام ١٤٣٨هـ- المجلد الخامس من العدد الثالث والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

– أطروحة "بعنوان: التربية الوقائية في القرآن الكريم "من إعداد الباحث: حازم حسني حافظ زيود – إشراف: د. خالد خليل علوان – في أصول الدين بكلية الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنية – في نابلس. فلسطين ٢٣/٦/ ٢٠٠٩م.

– دراسة لجمعية الصحة العالمية التاسعة والخمسون بعنوان: الإستراتيجية العالمية بشأن الوقاية من الأمراض المنقولة جنسيا ومكافحتها، للحقبة ٢٠٠٦-٢٠١٥م- وتحدث فيها عن الأمراض المنقولة جنسيا مشكلة تهدد الصحة العمومية، والوقاية من العدوى – والوقاية من المضاعفات الوخيمة لدي النساء وفرص الإسراع بوتيرة التصدي لهذه الأمراض باستخدام التقنيات الجديدة ووسائل الإعلام.

– دراسة مقدمة من د. عصام بدري أحمد محمد مدرس تنظيم المجتمع – كلية الخدمة الاجتماعية جامعة أسيوط. بعنوان: المسئولية الاجتماعية للشباب الجامعي لدعم الجهود الحكومية في مواجهة الأمراض المعدية العدد (٥١) المجلد (١) يوليو ٢٠٢٠ في مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية. ولكن لم أطلع على من تناول البحث من منظور الجمع بين الأمراض والآفات في ضوء القرآن الكريم.

التَّمْهِيدُ

معني التدابير الوقائية

لفظ التدابير الوقائية مركب بياني وصفي من **التدابير والوقائية**.

معني كلمة تدابير لغة: تدبَّرَ يتدبَّر، تَدبُّرًا، فهو مُتدبِّر، والمفعول مُتَدَبَّر، تَدْبير مفرد: جمعها تَدَابيرُ – مصدر دبَّرَ. وتدبَّر الأَمرَ وتدبَّر في الأمرِ: تأمَّله وتفكّر فيه على مَهَلٍ، ونظر في عاقبته "تدبَّر أمرَه بنَفْسه– الحكيم يتدبَّر في الأمور قبل إتيانها[١]– يقول تعالي: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**[٢] "."تدبرت" الأمر نظرت في أدباره. و **{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ}**[٣] أي يمضيه.

ومعني كلمة الوقائية: الوقاية: مصدر (وَقَى) الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل علي دفع شيء عن شيء بغيره. وَوَقَيْتُهُ أَقِيهِ وَقْيًا. وَالْوِقَايَةُ: مَا يَقِي الشَّيْءَ. وَاتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّهُ، أي اجعل بينك وبينه كَالْوِقَايَةِ. ويقول رسول الله (ﷺ): «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِ تَمْرَةٍ»[٤]. وكأنه أراد: اجعلوها وقاية بينكم وبينها[٥].

والوَقَاية: كلُّ مَا وَقَى شَيْئًا فَهُوَ وِقَايةٌ[٦]. وَقاك اللُه، أي: حَفِظَكَ اللهُ وِقَايَةً[٧]. ومنه "الوقاية من حوادث الطُّرق– واللِّقاح: وقاية من بعض الأمراض.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (٧٢٠/١).

(٢) [محمد: ٢٤].

(٣) [السجدة: ٥].

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب الزكاة باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة برقم ١٤١٧ – (١٠٩/٢).

(٥) مقاييس اللغة (١٣١/٦).

(٦) تهذيب اللغة (٢٧٨/٩).

(٧) معجم ديوان الأدب (٢٥٨/٣).

ومنه الطبّ الوقائيّ: الطب الذي يعتمد أساليب الوقاية من الأمراض، "وهو فرع من الطبّ يعمل على دعم الصحّة ونشر الوعي الصحي ومنع حدوث المرض، واقٍ من المرض أو يبطِّئ تطوُّرَه ويقضي على آثاره.

أما برامج الصِّحة الوقائيّة: أنشطة صحيَّة هدفها الحماية من الأمراض وضمان مستوى صحيّ مقبول"(١).

الوقاية: حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره والتوقي جعل الشيء وقاية مما يخاف(٢).

معني التدابير الوقائية: وقاية الله للبشر من السوء للحماية والمحافظة عليهم من الزلل والخطأ، واتخاذ الإجراءات الوقائية في المحافظة على النفس البشرية من الأمراض والآفات والوصول بهم إلي طريق النجاة مما يؤذيهم ويضرّهم.

التعريف بالأمراض والآفات والفرق بينهما

تعريف الأمراض لغة واصطلاحا

"الأمراض جمع لكلمة مرض، الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان".(٣). المَرَضُ: السقم. وقد مَرِضَ فلان وأَمْرَضَهُ الله. والممْراضُ: الرجلُ المسقامُ. ومَرَّضْتُهُ تَمْريضاً، إذا قمت عليه في مَرَضِهِ. والتمريضُ في الأمر: التضجيعُ فيه. والتَمارُضُ: أن يُري من نفسه المَرَضَ وليس به. وشمس مريضة، إذا لم تكن صافية. وعين مريضة: فيها فتور(٤).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٤٨٧/٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٤٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (٣١١/٥).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١١٠٦/٣).

"المرض نقيض الصحة يكون للإنسان والبعير وهو اسم للجنس قال سيبويه المرض من المصادر المجموعة كالشغل والعقل قالوا أمراض وأشغال وعقول، التمريض حسن القيام على المريض وتمريض الأمور توهينها وريح مريضة ضعيفة الهبوب ويقال للشمس إذا لم تكن منجلية حسنة مريضة، وكل ما ضعف فقد مرض، وقوله تعالى: **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}**[1] أي نفاق وضعف يقين والمرض والسقم في البدن والدين جميعا كما يقال الصحة في البدن والدين جميعا، والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين"[2]. (مرض) فِي الْأَمر قصر فِيهِ وَلم يحكمه[3].

اصطلاحاً: عرفة الإمام الجوزي فقال: الْمَرَض: فَسَاد يعرض للبدن فيخرجه عَن الِاعْتِدَال وَالصِّحَّة ويستعار فِي مَوَاضِع، فَيُقَال: أَرض مَرِيضَة، إِذا فَسدتْ، وَيُقَال: قلب مَرِيض، إِذا خرج عَن الصِّحَّة فِي الدّين، مثل أَن يحصل الشَّك[4].

وعرفه القاسمي فقال: "المرض: السقم، وهو نقيض الصحة، بسبب ما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفاعيله، وقوله تعالى: **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}**[5] استعير هاهنا لعدم صحة يقينهم، وضعف دينهم- وكذا توصف قلوب المؤمنين بالسلامة التي هي

---

(١) [البقرة: ١٠].

(٢) المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٨/- ٢٠٣-٢٠٤)، الكتاب لسيبويه (٣/٤٠١).

(٣) المعجم الوسيط (٢/٨٦٣).

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص: ٥٤٥).

(٥) [البقرة: ١٠].

صحة اليقين، وعدم ضعفه، كما قال تعالى: {**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**}[١] أي: غير مريض"[٢].

المرض: كل شيء خرج به الإنسان عن حد الصحة [٣]. بمعني ما يصيب الإنسان من علة تؤثر في صحته.

فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي، على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك. وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضالين، فإن الله تعالى يقول: {**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**}[٤]، وقال تعالى: {**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**}[٥]، وقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**}[٦].

والقرآن الكريم جاء بمادتي المرض والشفاء باختلاف تراكيبهما بين الفعل والمصدر، واختلاف معانيهما بين العام والخاص، وقصدهما بين التفصيل والإجمال؛ ليجمع القرآن العظيم بذلك، جميع الأمراض بمعانيها الحسية والمعنوية والفردية والجماعية، بل، وظاهرها وباطنها؛ وبهذا؛ يكون القرآن العظيم قد تضمن جميع الأمراض القديمة منها والمستحدثة، وما يعلم منها وما

---

(١) [الشعراء: ٨٩].

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٢٥٠/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. (٣١١/٥).

(٤) [فصلت: ٤٤].

(٥) [الإسراء: ٨٢].

(٦) [يونس: ٥٧].

لا يعلم، وما يكتشف منها وما لم يكتشف حتى الآن، كما أنه أشار إلي الأمراض البسيطة الفردية والأمراض المعقدة منها والوبائية.

"القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به. وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه – لم يقاوم الداء أبدا. وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها؟! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه"(١).

وقد ورد لفظ المرض في القرآن الكريم في أثني عشر موضعاً، وَذكر أهل التَّفْسِير أَن الْمَرَض فِي الْقُرْآن على ثَلَاثَة أوجه:

أَحدهَا: مرض الْبدن. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: **{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ}**(٢)، وقوله: **{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى}**(٣)، وقوله: {وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}(٤).

وَالثَّانِي: الشَّك. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}**(٥)، وقوله: **{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ}**(٦) ، **وقوله: {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ}**(٧).

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٢٥٣).

(٢) [البقرة: ١٩٦].

(٣) [التوبة: ٩١].

(٤) [النور: ٦١].

(٥) [البقرة: ١٠].

(٦) [التوبة: ١٢٥].

(٧) [محمد: ٢٠].

وَالثَّالث: الْفُجُور. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {**فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**}(١)، وفيهَا: {**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**}(٢).

وَقد الْحق بَعضهم وَجها رَابِعا فَقَالَ: وَالْمَرَض: الْجراح. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ**}(٣). وألحقه بَعضهم بالقسم الأول، وَقَالَ الْجراح: من جملَة الْأَمْرَاض(٤).

وقيل: يكون لعينة، يعني جميع الأوجاع، قال الله تعالى: {**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**}(٥) من جميع الأوجاع. وقوله: {**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى**}(٦) من كان به شيء من مرض، وقوله: {**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**}(٧) ليس في القرآن غير هذه المواضع.

ويبين الله (ﷻ) في هذه الأمراض حكم عظيمة، فمن فوائد المرض، أنه ينزل بعبده من الضر والشدائد ما يلجئه إلى المخاوف، حتى يلجئه إلى التوحيد، ويتعلق قلبه بربه فيدعوه مخلصاً له الدين، قال الله تعالى عن نبيه أيوب (عليه السلام): {**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**}(٨). فكشف الله ضره وأثنى عليه، فقال: {**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**}(٩).

---

(١) [الأحزاب: ٣٢].
(٢) [الأحزاب: ٦٠].
(٣) [النساء: ٤٣]، [المائدة: ٦].
(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٥٤٦).
(٥) [البقرة: ١٨٤].
(٦) [التوبة: ٩١].
(٧) [النور: ٦١].
(٨) [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].
(٩) [ص: ٤٤].

ومن فوائده: انتظار المريض للفرج، الأمر الذي يجعل العبد يتعلق قلبه بالله وحده، وخصوصاً إذا يئس المريض من الشفاء من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج.

ومن فوائده: أنه علامة على إرادة الله بصاحبه الخير، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه).

قال: قال رسول الله (ﷺ): «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»(١).

والمعني: أي يصب منه بالمرض المؤثر في صحته، وأخذ المال المؤثر في غناه، والحزن المؤثر في سروره، والشدة المؤثرة في صلاح حاله، فإذا صبر واحتسب، كان ذلك سببا لما أراده الله (ﷻ) به من الخير(٢).

العبد إذا ابتلي بعد الصحة بالمرض، وبعد القرب بالبعد، اشتاقت نفسه إلى العافية، وبالتالي تتعرض إلى نفحات الله بالدعاء، فإنه لا يرد القدر إلا الدعاء، بل، ينبغي له أن يتوسل إلى الله، ولا يتجلد تجلد الجاهل؛ فإن الله أمر العبد أن يسأله تكرماً، وهو يغضب إذا لم تسأله، فإذا منح الله العبد العافية وردها عليه عرف قدر تلك النعمة.

ومن فوائد المرض: معرفة العبد ذله وحاجته وفقره إلى الله، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه، فهم فقراء إليه وهو غني عنهم، ولولا أن سُلط على العبد هذه الأمراض لنسي نفسه، فجعله ربه يمرض ويحتاج، لتظهر بذلك عبوديته لربه، والأمراض خلق من خلق الله (ﷻ) عن النبي (ﷺ) قال: «إِنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب المرضى –باب ما جاء في كفارة المرض برقم – ٥٦٤٥ – (١١٥/٧).

(٢) المنتقى شرح الموطإ المؤلف: القرطبي الباجي الأندلسي (٢٥٩/٧).

خَلَقَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَتَدَاووا بِحَرَامٍ»[١]. وفي الأمراض من الحِكم والأسرار ما لا يعمله إلا الله تعالى.

تعريف الآفة لغة واصطلاحا

"**الآفة:** "مفرد: جمعها آفات: وهي عَرَضٌ مُفسِدٌ لما أصاب من شيءٍ.. ويُقال: آفة العِلْم: النِّسيانُ، وآفة الرّأي الهوى- وتُعَدّ الأمّيّة من أخطر الآفات الاجتماعيّة ويقال: آفة زراعيّة: ما يصيب النَّبات من أمراض"[٢].

إذا دخلتِ الآفة على قومٍ قيل: قد إفُوا، ويقال في لغة: قد إيفُوا"[٣].

وَقَالَ بعض أهل اللغة معنى الأفة المعدم المقل من الأفف وهو الشيء القليل[٤].

وقيل الآفة: هي العاهة، يقول ابن الأثير: إن الآفة تسرع إلى راكبه في غالب الأمر كما يسرع الهلاك من النار لمن لابسها ودنا منها[٥].

اصطلاحاً: "(الآفة) كل مَا يُصِيب شَيْئًا فيفسده من عاهة أَو مرض أَو قحط. أو ما شابه ذلك.

وتوجد بعض الألفاظ لعلها تعد من مصاديق الآفة "(كالْجَائِحَة) الْمُصِيبَة تحل بِالرجلِ فِي مَاله فتجتاحه كُله و (فِي اصْطِلَاح الْفُقَهَاء) مَا أذهب الثَّمر أَو بعضه من آفَة سَمَاوِيَّة وَيُقَال سنة جَائِحَة جدبة (جمعها) جوائح" – والزمانة: مرض

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير –باب الخاء –خيرة بنت أبي حدرد أم الدرداء ويقال لها هجيمة برقم ٦٤٩ – (٢٥٤/٢٤). وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رواه الطبراني ورجاله ثقات (٨٦/٥).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (١٣٩/١).

(٣) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٤١٠/٨).

(٤) غريب الحديث للخطابي (٣٤٧/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٥/١)

(٥) لسان العرب (٢٤٣/٥)، (١٦/٩).

مَرضا يَدُوم زَمَانا طَوِيلا[1]. "وقد تكون الآفة عامة كالوباء، وقد تكون خاصة كالخرس والجنون، وقد تسبب الآفة مرضا أو ضررا أو خللا.

العلاقة بين الأمراض والآفات والفرق بينهما:

المحافظة على النفس من المقاصد الكلية الضرورية للشريعة الغراء؛ لذا تقرر مشروعية التداوي من الأمراض والآفات محافظة على النفس البشرية، فقد تداوى رسول الله (ﷺ) مما ألم به من الأمراض وأمر الناس بالتداوي؛ لإزالة العلل والآلام، والواجب شرعا على الأمة أن تختص طائفة منها بالطب والعلاج بقدر ما تستدعيه حاجتها وبحسب تنوع أمراضها، فيجب أن يكون فيها أطباء في كل فروع الطب بحيث إذا قصرت الأمة في ذلك، كانت آثمة شرعا، وهذا الواجب هو المعروف في الأصول بالواجب الكفائي أو الفرض الكفائي، ويجب عليهم أن يحذقوا الفن حتى يؤدوا وظائفهم أكمل أداء، ويهتدوا إلى العلاج النافع للأمراض.

حيث يقوم المنهج الإسلامي في مواجهة الأمراض والآفات على مجموعة من القواعد الحاكمة تحدد العلاقة بالله وبشريعة حاكمة تحدد مصادر التشريع ومعيارية الصواب ونمط العلاقات الاجتماعية بين البشر، وفي هذا الإطار العام يأتي المنهج الإسلامي لمواجهة الأمراض.

ولننظر إلى الآفات التي نعاني منها، ومن هنا يكون العلاج بعد تلمس الداء فمن الخطورة أن يحس الإنسان بألم المرض ولا يفطن إلى موضع الداء، نعم، الإحساس بألم المصيبة كبير، نعم، أن يحس الإنسان بألم الداء مصيبة عظمى، ولكن أعظم منها هو عدم الشعور بمكان الداء فإذا علم البلاء يسهل بعد ذلك العلاج"..

---

(١) المعجم الوسيط [١/(٣٢/١-١٤٥-٤٠١)].

ومن الآفات: الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والظلم والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي في صلاته ما صلى، وما الذي يقرأ، ومن الذي يناجيه، ولا يحس بالخشوع من قلبه، حيث انشغل أكثر الناس بالظواهر واستهانوا بأمر البواطن والقلوب، مع أن الله تعالى لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأجساد، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال، ولأن الله تعالى قد علَّق النجاة يوم القيامة بسلامة القلوب: بقوله: **{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}**(١). والقلب السليم هو القلب السالم من الشرك والغل والحقد والحسد وغيرها من الآفات والشبهات والشهوات المهلكة. ثم إن رسول الله (ﷺ) يقول: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ» (٢)، وبقول الرسول (ﷺ): «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَرَى فِيهَا آفَةً دُونَ الْمَوْتِ»، فَكَانَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ: **{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}**(٣)، ويقول أبو علي

(١) [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم – ٦٠٦٥– باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر– كتاب الأدب (١٩/٨).

(٣) سورة [الكهف: ٣٩] – أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم– ٥٩٩٥ – باب الميم– من اسمه: محمد (١٢٦/٦) وقال عنه: "لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به عمر بن يونس» وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٤٠/١٠) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عبد الملك بن زرارة، وهو ضعيف. وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير برقم ٥٨٨ – باب العين –باب من اسمه العباس (٣٥٢/١).

الروذباري[1]: "مَنْ رُزِقَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ فَقَدْ سَلِمَ مِنَ الْآفَاتِ: بَطْنٌ جَائِعٌ مَعَهُ قَلْبٌ خَاشِعٌ، وَفَقْرٌ دَائِمٌ مَعَهُ زُهْدٌ حَاضِرٌ، وَصَبْرٌ كَامِلٌ مَعَهُ قَنَاعَةٌ دَائِمَةٌ"[2].

ويقول رسول الله (ﷺ): «الْمَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، والآفَاتِ والْهَلَكَاتِ وأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ»[3].

وقد تسمي الخمر داء، لما في شربها من الإثم، وقد يستعمل لفظ الداء في الآفات والعيوب، ومساوئ الأخلاق، ألا تراه سمى البخل داء، فقال (ﷺ): «وأي

---

(١) محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروذباري من كبار الصوفية، سكن مصر، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان في التصوف نقلت عنه.أصله بغدادي كان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة، لزم الجنيد وصحبه وصار أحد أئمة الزمان، وأقام بمصر وصار شيخ الصوفية ورئيسهم بها، وتوفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة وقيل ثلاث وعشرين (رحمه الله). تاريخ بغداد ت بشار (١٨٠/٢)، الأعلام للزركلي (٣٠٩/٥)، صفة الصفوة (٤٥٥/٢).

(٢) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء باب أبو علي الروذباري ومنهم أبو علي الروذباري أحمد بن محمد بن مقسم له اللسان الفصيح والبيان النجيح، بغدادي انتقل إلى مصر وتوفي بها (٣٥٦/١٠).

(٣) رواه: الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين برقم- ٤٢٩ - فصل: في توفير العالم ــ هذه أخبار صحيحة في الأمر بتوقير العالم عند الاختلاف إليه والقعود بين يديه مما لم يخرجاه - كتاب العلم: وقال الحاكم عنه: سمعت أبا علي الحافظ يقول: هذا الحديث لم أكتبه إلا عن أبي عبد الله الصفار ومحمد بن إسحاق وابنه من البصريين لم نعرفهما بجرح وقوله: أهل المعروف في الدنيا قد روي من غير وجه عن المنكدر عن المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر والمنكدر وإن لم يخرجاه فإنه يذكر في الشواهد (٢١٣/١). وقال عنه الألباني "صحيح"، صحيح الجامع الصغير وزيادته [برقم ٣٧٩٥] (٧٠٧/٢).

داء أدوى من البخل؟»[1]، وقوله (ﷺ): «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ»[2]، فنقلها النبي (ﷺ) من أمر الدنيا إلى أمر الآخرة[3].

ويقول الإمام القرطبي: إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق. وقد دل على صحة هذا المعنى قوله (ﷺ): "كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"[4].

يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقى كاملا بريئا من العيوب، لكن يتصرف فيه فيجدع أذنه ويوسم

---

(١) رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد –باب البخل –برقم –٢٩٦ – [وقال عنه الشيخ الألباني]: صحيح (ص: ١١١) ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين –كتاب البر والصلة –باب: حديث عبد الله بن عمرو برقم–٧٢٩٣ – وقال عنه: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، (١٨٠/٤).

(٢)رواه الإمام أحمد في مسنده – مسند الزبير بن العوام (رضي الله عنه) برقم– ١٤١٢ – (٢٩/٣)، ورواه الإمام الترمذي في سننه ت شاكر – أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (ﷺ) برقم–٢٥١٠ – وقال عنه: «هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير». فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير، عن يعيش بن الوليد، عن مولى الزبير، عن النبي (ﷺ)، «ولم يذكروا فيه عن الزبير» (٦٦٤/٤). رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد برقم– ١٢٧٣٢– وقال عنه – رواه البزار وإسناده جيد. (٣٠/٨).

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٥٣٨/٧).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز– باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم ١٣٥٩ – (٩٥/٢).

وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل، وكذلك الإنسان، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح(١).

وإن من أوصاف القرآن العظيم أنه موعظة وشفاء، وهدى ورحمة للمؤمنين كما قال الله – تعالى –: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}**(٢)، وقوله تعالي: **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}**(٣).

وإن السلامة من هذه الآفات الكبرى لا تتأتى إلا بأسباب لا بد من الأخذ بها، ومقدمات لا بد من تحصيلها.

فمن أسباب صلاح القلوب واستقامتها الأخذ بالقرآن العظيم، تلاوة وحفظًا وتدبرًا وتعلمًا، فإن الله (ﷻ) أنزله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين يقول ابن القيم (رحمه الله):

ومن أسباب صلاح القلوب واستقامتها إعمارها بمحبة الله تعالى، فلا فلاح ولا صلاح ولا استقامة ولا لذة ولا طيب إلا بمحبة الله تعالى، عن النبي (ﷺ) يقول: "ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"(٤). قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "محبَّة الله

(١) الجامع لأحكام القرآن المسمى بـــ تفسير القرطبي (٢٩/١٤).

(٢) سورة [يونس: ٥٧].

(٣) سورة [الزمر: ٢٣].

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الإيمان– باب حلاوة الإيمان بـــرقم –١٦ – (١٢/١).

وَرَسُوله أعظم واجبات الدين، وأكثر أصوله، وأجلّ قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين"(١).

فاجتهدوا في تحصيل محبة الله تعالى، واعلموا أن طريقها الأكبر أداء الفرائض والواجبات، والاجتهاد في النوافل والمستحبات، قال الله تعالى في الحديث القدسي:...وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"(٢).

ومن أسباب صلاح القلوب تطيبها بذكر الله يقول تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}**(٣).

مكانة الوقاية في الإسلام

عناية الإسلام بالصحة لم تكن أقل من عنايته بالعلم؛ ذلك أن الإسلام مرتبطة أحكامه بالواقع، والواقع أنه لا علم إلا بالصحة، و لا مال إلا بالصحة، ولا عمل إلا بالصحة، والصحة رأس مال الإنسان، وأساس خيره وهناءه، ومن هنا عرض القرآن للمرض، وكان له في تشريعه الذي يعالج به القلوب، أعظم علاج وأوضح إشارة إلي اتخاذ وسائل الصحة البدنية والوقاية الصحية، وإذا كانت أصول الطب التي وصل إليها الإنسان بتجاربه، تدور حول حفظ القوة

(١) أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيمية (ص: ٥٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الرقاق – باب التواضع – برقم –٦٥٠٢ – (١٠٥/٨).

(٣) [الرعد: ٢٨].

وعدم مضاعفة المرض، والحمية من المؤذيات، واستفراغ المواد الفاسدة من البدن، فإنا نجد في القرآن الكريم، وفي إرشادات النبي (ﷺ) إشارات واضحة إلي كثير من الجزئيات.

وفي هذا الإطار العام يأتي المنهج الإسلامي لمواجهة الأمراض، من حيث إن الحفاظ على الجسد من أهم أهداف الإسلام، ومن أهم سبل القوة التي يقول عنها الله تعالي: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**[1] حيث حثت الشريعة الإسلامية علي المحافظة علي صحة الأبدان والوقاية من الأمراض والآفات، ومما يكون سبباً في هلاك الإنسان. قال تعالي: **{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}**[2].

و قال- سبحانه- في آية أخرى: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}**[3]، وقوله: **{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}**[4].

والمعني: قوله: **{وإِذَا مَرِضْتُ}**؛ أي: أصابني مرض **{فَهُوَ}** وحده **{يَشْفِينِ}**؛ أي: يبرئني ويعافيني من المرض؛ أي: ينعم على بالشفاء إذا حصل لي مرض، لا الأطباء، فأعلم سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أن الذي أمرض هو الذي يشفي، وهو الله تعالى[5]. وأسند سيدنا إبراهيم (عليه السلام) المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله (عز وجل)، وهذا من باب الأدب مع الله تعالي.

---

(١) سورة [البقرة: ١٩٥].

(٢) [فصلت: ٤٤].

(٣) [الإسراء: ٨٢].

(٤) [الشعراء: ٨٠].

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٠/٢٢٣) (٢٠/٢٤٠).

وحقيقة الشفاء: زوال المرض وهو مستعار هنا للبصارة بالحقائق وانكشاف الالتباس من النفس، كما يزول المرض عند حصول الشفاء، يقال: شفيت نفسه، إذا زال حرجه(١).

والقرآن شفاء لكل داء، فمن نزلت به شدة حسية أو معنوية، دنيوية أو دينية، ففزع إليه بالتلاوة أو الصلاة به، رأى فَرَجًا، وقربًا، فالالتجاء إلى كلام الله هو الالتجاء إلى الله، فإنَّ الحق تعالى يتجلى في كلامه للقلوب على قدر صفائها، وأما من التجأ إلى غير الله فقد خاب رجاؤه وبطل سعيه قال تعالى: **{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}**(٢) تميل إليه فيأويك(٣).

ويقول النبي (ﷺ): «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٤).

ومعني الحديث: يعني بـــ (القوي): مَن صبر على مجالسة الناس، وتحمُّل أذيتهم، وتعليمهم الخير، وإرشادهم إلى الهدى، فهو أحب إلى الله من المؤمن الذي يفر من الناس، ولا ينفع إلا نفسَه(٥)."

القوة هنا المحمودة: يحتمل أنها في الطاعة، من شدة البدن وصلابة الأسر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قيامًا، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة

---

(١) التحرير والتنوير (٣١٥/٢٤).

(٢) [الكهف: ٢٧].

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢٦٤/٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤) (ج٤/ص٢٠٥٢) باب: في الأمر بـــالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله –كتاب القدر.

(٥) المفاتيح في شرح المصابيح (٣٠٩/٥).

هنا في المنة وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المنكرات والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة. ثم قال (ﷺ): "وفى كل خير" للإيمان الذي هو صفتهم، لكن الله قد باين بين خلقه في داره، ورفع بعضهم فوق بعض درجات"[1].

ففي هذا الحديث: ما يدل على أن من المؤمنين القوي والضعيف؛ فإن في كل خير؛ إلا أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وذلك؛ لأن المؤمن القوي ينفع نفسه وينفع غيره؛ وربما تعدت منفعته إلى أهله وقومه وأمة دهره. والمؤمن الضعيف قد يقتصر بنفعه على نفسه، وأخاف على ضعفه أيضا أن يضعف على حفظ نفسه؛ ولأن المؤمن القوي يعرضه أن يكسر حزب الشيطان بقوله إذا قال، وبفعله إذا فعل.

فالواجب عند وقوع المقدور التسليم لأمر اللَّه، وترك الاعتراض على اللَّه، والإعراض عن الالتفات إلى ما فات[2]. "ويجب الأخذ بالأسباب والاحتياط؛ لأن تارك الاحتياط لا يربح إلا الحسرة والندم بعد فوات الأوان". وينهي الحديث عن أمرين:

١- العجز.

٢- وقولك إذا أصابك مكروه، أو فاتك محبوب، لو أني فعلت كذا كان خلاف ما حصل.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٥٧/٨).

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٦٦/٣١).

فإن هذا القول فتح بابا للشيطان ولكن تقول قدّر الله وما شاء فعل[١].

وعن أسامة بن شريك، أن رسول الله (ﷺ)، **قال:** «تداووا عباد الله، فإن الله (ﷻ) لم ينزل داء، إلا أنزل معه شفاء، إلا الموت، والهرم»[٢].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (ﷺ) قال «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[٣].

دلت الأحاديث على ما يأتي: أولاً: أن لكل داء سواء كان نفسياً أو جسمياً دواء يؤثر فيه، ويقضي عليه ما عدا الموت.

ولكن الطيب قد يصيب الدواء المناسب، ويهتدي إليه فينجح في معالجة الداء بإذن الله، وقد يخطأ الطيب في معرفة الدواء لجهله به، أو في تشخيص المرض فيفشل في العلاج، والحديث صريح في أنه ليس هناك أمراض مستعصية لا دواء لها، حتى هذه الأمراض المستعصية لها أدوية تؤثر فيها، وتقضي عليها، ولكن الأطباء لم يكتشفوها حتى الآن. وفيه إشارة إلى أن بعض الأدوية

---

(١) الأدب النبوي (ص: ٢١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٨٤٥٥ – حديث أسامة بن شريك –مسند الكوفيين (٣٩٤/٣٠)، أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم –٣٨٥٥ – بلفظ «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ (ﷻ) لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ» باب في الرجل يتداوى – كتاب الطب (٣/٤) ورواه الإمام الترمذي في سننه ت شاكر برقم ٢٠٣٨ – أبواب الطب عن رسول الله (ﷺ) باب ما جاء في الدواء والحث عليه وقال عنه: وهذا حديث حسن صحيح (٣٨٣/٤). ورواه الإمام ابن ماجه في سننه برقم ٣٤٣٦ – باب ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء – كتاب الطب وقال عنه المحقق: [محمد فؤاد عبد الباقي] في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات. (١١٣٧/٢) ورواه الإمام النسائي في السنن الكبرى برقم ٧٥١٢ – الأمر بالدواء –باب الطب كتاب الطب (٧٩/٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم– ٥٦٧٨ – باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء – كتاب الطب (١٢٢/٧).

لا يعلمها كل أحد، وبعض الأمراض لم تكتشف أدويتها حتى الآن، وقد دلت التجارب على صدق هذه القضية، فإن السل وبعض الأمراض الصدرية كانت تعد من الأمراض المستعصية، فلما اكتشف البنسلين أصبح من الأمراض العادية التي يسهل علاجها بإذن الله، سيما إذا كان في الدرجة الأولى أو الثانية.

ثانياً: دل هذا الحديث على مشروعية العلاج، لأنه (ﷺ) أخبرنا بأن الذي خلق الداء خلق الدواء تنبيهاً لنا وإرشاداً وترغيباً في التداوي، وقد أمرنا (ﷺ) بذلك صراحة في قوله (ﷺ): "يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داءً إلاّ وضع له شفاء". واستعمال الأدوية لا ينافي التوكل إذا اعتقد أنها تنفع بإذن الله وتقديره، وأنها لا تؤثر إلاّ بإرادته (ﷻ)، وفي هذه الأحاديث إثبات للطب والعلاج، وأن التداوي مباح غير مكروه، وهذا الحديث لا يدل على جواز التداوي فقط، بل يدل على استحبابه أيضاً، لأن أقل مقتضيات الأمر الاستحباب.

ثالثاً: أن في هذا الحديث وأمثاله تقوية لنفس المريض، ومساعدة له على مكافحة المرض، وتشجيعاً له على مقاومة الداء، لأنه متى استشعرت نفسه أن لدائه دواء تعلق قلبه بالرجاء، وتفتحت له أبواب الأمل، وزال عنه اليأس والاكتئاب، وهذه المشاعر في حدّ ذاتها كفيلة له بالشفاء بإذن الله؛ لأن نفسية الإنسان متى قويت تغلبت على المرض وقهرته، ومتى ضعفت تغلب عليها.(١).

ومن هنا نري أن الإسلام قد رسم هذه الحماية والعناية بالإنسان للحيلولة دون انتشار المرض بآداب نبوية وتوجيهات صحية وقف الطب الحديث عليها بعد أربع عشر قرنا من الزمان، يقول سبحانه: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**(٢).

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/٢١٢)، (٥/٢١٣).
(٢) سورة فصلت الآية ٥٣.

﴿ المبحث الأول ﴾
التدابير الوقائية في العبادات

﴿ المطلب الأول ﴾
التدابير الوقائية في الطهارة

الطهارة ركن من أركان العبادات، ولا تصح الصلاة بدونها، وهي تعني نظافة الجسم من الأقذار والنجاسات الحسية والمعنوية، وتتضمن الوضوء والتيمم، والاغتسال من الحيض والنجاسات والاستنجاء، وقد وردت في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وقد بينها الفقهاء المجتهدون والعلماء؛ لرفع الحرج عن الناس ببيان أحكامها وأهميتها وأنواعها ومجالاتها.

يقول الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**[(١)]، وقوله: **{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}**[(٢)] و قد قال رسول الله (ﷺ): «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...»[(٣)].

الطهارة هي النظافة والنزاهة من الأدناس، ورجل (طاهر) الثياب أي منزه و (الطهر) بالضم ضد الحيض والمرأة (طاهر) من الحيض و (طاهرة) من النجاسة ومن العيوب[(٤)]. وهي صفة تحدث ساعة فساعة،

وتأتي أهمية الطهارة من حيث إنه لا تصح الصلاة إلا بطهارة الثوب والبدن والمكان، ولا تصح العبادة إلا بطهارة النفس، فللنفس نجاسة لا تدرك إلا

---

(١) [البقرة: ٢٢٢].

(٢) [المدثر: ٤].

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب فضل الوضوء كتاب الطهارة برقم (٢٢٣) (٢٠٣/١).

(٤) مختار الصحاح المؤلف: زين الدين عبد القادر الحنفي الرازي (ص: ١٩٣).

بالبصيرة، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**} (١)، وللبدن نجاسة قد تدرك بالبصر، قال الله تعالى: {**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**} (٢)، وقوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**}(٣)، والذي يطهر به البدن هو الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية"(٤).

الطهارة نوعان:

١- **طهارة الظاهر:** تكون بالوضوء أو الغسل بالماء إلى جانب طهارة الثوب والبدن والمكان.

٢- **طهارة الباطن:** تكون بخلوص القلب من الصفات السيئة كالشرك، والكفر، والكبر، والعجب، والحقد، والحسد، والنفاق، والرياء ونحوها، وامتلاء القلب بالصفات الحسنة كالتوحيد، والإيمان، والصدق، والإخلاص، واليقين، والتوكل ونحوها، ويُكمِّل ذلك بكثرة التوبة والاستغفار وذكر الله (ﷻ)(٥).

النجاسة هي القذارة التي يجب على المسلم أن ينتزه عنها ويغسل ما أصابه منها(٦).

أما أنواع النجاسات: هي في كل ما يخرج من بدن الإنسان مما يجب بخروجه الوضوء أو الغسل فهو نجس من البول والغائط والمني ودم الحيض

---

(١) [التوبة: ٢٨].

(٢) [المدثر: ٤].

(٣) [البقرة: ٢٢٢].

(٤) احكام العبادات في التشريع الاسلامي للمؤلف: فايق سليمان (ص: ٤).

(٥) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (ص: ٤١٤).

(٦) فقه السنة المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م (٢٣/١).

والنفاس، والأدلة على ذلك قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}(١)، وقوله تعالي: {**لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**}(٢).

ويقول (ﷺ): {**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**}(٣).

وروي عن عقبة بن عامر أنه قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَائِمًا، يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلًا عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ؟ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ مِنْهَا. فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ"(٤).

---

(١) [المائدة: ٦].

(٢) سورة [التوبة: ١٠٨].

(٣) سورة [الأنفال: ١١].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة – مسند الشاميين –حديث عقبة بن عامر الجهني –برقم – ١٧٣٩٤ – وقال عنه المحقق: حديث صحيح (٦١٦/٢٨).

ويقول النبي (ﷺ): «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»(١).

ويقول د. مصطفى ديب البغا: أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق في معني (غرا محجلين) المعني: غرا جمع أغر أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الشهرة وطيب الذكر. ومحجلين: من التحجيل، وهو بياض يكون في قوائم الفرس، وأصله من الحجل وهو الخلخال. والمعنى: أن النور يسطع من وجوههم وأيديهم وأرجلهم يوم القيامة، وهذا من خصائص هذه الأمة التي جعلها الله (ﷻ) شهداء على الناس(٢).

وقوله في الغسل من الجنابة: {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} (٣)، والمقصود من الغسل. إزالة الرائحة الكريهة وعدم تأذي الحاضرين؛ وذلك لا يتأتى بعد إقامة الجمعة(٤)، والرسول (ﷺ) يقول: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيَغْتَسِلْ»(٥). وذكر في سبب الحديث: "كان الناس يَغدون في أعمالهم، فإذا كانت الجمعة، جاءوا، وعليهم ثياب متغيرة، فشكوا ذلك لرسول الله (ﷺ)، فقال: "من جاء منكم الجمعة فَلْيَغْتَسِل(٦).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الوضوء– باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء برقم ١٣٦ – (٣٩/١).

(٢) صحيح البخاري (٣٩/١).

(٣) [المائدة: ٦].

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦٦/٦) وينظر في كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (١٣/١٠).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب فضل الغسل يوم الجمعة– كتاب الجمعة برقم– ٨٧٧–(٢/٢).

(٦) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٠٩/١٦).

وقوله في الغسل من الحيض: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}(١). "هذه الآية رحمة ووقاية و وحافظة لصحة البشرية ، نزلت تشخص داء وتصف الدواء، نزلت تحرم علي الإنسان وطء المرأة الحائض؛ لما في ذلك من أذي وضرر علي الزوج والزوجة علي السواء، ثم جاء العلماء المتخصصين بعلمهم وبحثهم وأدواتهم دون أن يأتوا بجديد، وكل ما جاءوا به من صور وتفسيرات علمية ما هو إلا بعض الأرقام للصور والتعليلات والتفسيرات العلمية التي أحاطت هذه الآية الكريمة بهالة من نور الحقيقة وصدق اليقين، ومن الناحية العلمية عندما يصفون الجهاز التناسلي في المرأة أثناء الحيض، وما به من ميكروبات، وكيف أن هذه الميكروبات تصل إلي الرجل فتعرضه لخطر داهم، وتعرضه لالتهابات شديدة يتعذر معها البول كما تسبب متاعب لا تطاق، ودورة الحيض وإن كانت طبيعية في المرأة، إلا أنها حالة لا تقل عن المرض خطورة، إذ أنها تسبب للنساء آلاما وانحرافا في مزاجهن وضعفا، وقد تعاني المرأة منها آلامًا قاسية، ومغصا شديدا، قد يكون مصحوبا بأعراض هستيرية، والإسلام قدر هذا الوضع فأمر النساء بترك الصيام، وحرم عليهن الصلاة؛ بدوافع منها، مراعاة صحتهن والرحمة بضعفهن أليس الأجدر بالزوج أن يعتزل زوجته في فترة حيضها؟ لما تعانيه من آلام قد تكتمها عن الزوج حياء وخجلا، أو طاعة ورغبة في عدم إزعاجه، وقد عرض الأستاذ الدكتور (عباس عمار أستاذ أمراض النساء بجامعة القاهرة) فقال "الأذى هو المكروه، والمقصود هنا الجماع في المحيض

(١) [البقرة: ٢٢٢].

أمر مكروه كما يدل عليه باقي الآية الكريمة؛ لأنه ضرر يصيب المرأة والرجل جميعا ضرر متعدد الوجوه متشعب النواحي، من الناحية الطبية- أن مقاومة المرأة للأمراض تنقص إلي حدها الأدنى في أثناء الحيض، فتكون أكثر تعرضا للعدوى إذا ما دخلت جراثيم الأمراض في المهبل أو عنق الرحم، وهو أمر كثير الحدوث في الجماع، أما في غير أوقات الحيض، فإن هذه الجراثيم لا تستطيع الاعتداء علي الجسم نظرا لشدة مقاومته، وهو أذي للمرأة؛ لأن الأعضاء التناسلية تكون مختفية في الحيض، فإذا أضيف إلي هذا ما ينشأ عن الجماع من الاحتقان الشديد، فقد يؤدي ذلك إلي نزيف ولا سيما إذا كان بالأعضاء التناسلية أورام أو التهابات ..."[1].

وإذا طَهُر ظاهرُ الإنسان بالماء، وطَهُر باطنه بالتوحيد والإيمان، صفت روحه، وطابت نفسه، ونشط قلبه، وصار مهيأ لمناجاة ربه في أحسن هيئة: بدن طاهر، وقلب طاهر، ولباس طاهر، في مكان طاهر، وهذا غاية الأدب، وأبلغ في التعظيم والإجلال لرب العالمين من القيام بالعبادة بضد ذلك، ومن هنا صار (الطُّهور شطر الإيمان). فالطهارة من محاسن الإسلام، وتكون باستعمال الماء الطاهر على الصفة المشروعة في رفع الحدث وإزالة الخبث[2].

وهكذا تكرر في القرآن الكريم تأكيد الخالق الحكيم (ﷻ) على قيمة الطهارة بين عباده، وجعلها واجبة على كل المسلمين في الوضوء لخمس صلوات في اليوم هي الفرائض، هذا غير النوافل، يقول (ﷺ): «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ

(١) الإسلام والوقاية من الأمراض (ص: ٦٥) بتصرف.

(٢) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (ص: ٤١٤).

أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»(١).

كما أنه (ﷺ) افترض الغسل الشرعي؛ لتطهير الجسد في مناسبات عدة للرجال والنساء، ويكفي بيانا لأهمية الطهارة في الإسلام أن أولى خطوات الدخول في الإسلام أن يغتسل المرء، ثم يتلفظ بعد الغسل بالشهادتين.

ويقول (ﷺ): «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ...»(٢).

وروى الطبراني أنه (ﷺ) قال: «طَهِّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ فِي شِعَارِهِ(٣) مَلَكٌ، لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات باب فضل الصلوات الخمس– برقم ٢٨٣ – (٦٦٧) –(٤٦٢/١).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب وجوب الطهارة للصلاة كتاب الطهارة رقم (٢٢٤) (٢٠٤/١).

(٣) (في شعاره) بكسر المعجمة أي الثوب الذي يلي الجسد. ينظر في: التنوير شرح الجامع الصغير (١٣٩/٧).

(٤) رواه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط (٢٠٤/٥) باب الميم من اسمه: محمد برقم– ٥٠٨٧ – وقال عنه: لم يرو هذا الحديث عن عطاء بن أبي رباح إلا العباس بن عتبة، تفرد به: إسماعيل بن عياش " وفي التنوير شرح الجامع الصغير (١٣٩/٧) قال الهيثمي: أرجو أنه حسن الإسناد.، أخرجه ابن حبان – في صحيحه بلفظ «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا، قَالَ الْمَلَكُ: [ص: ٣٢٩] اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا». باب: ذكر استغفار الملك للبائت متطهرا عند استيقاظه –كتاب الطهارة برقم (١٠٥١) وقال عنه المحقق: شعيب الأرناؤوط حسن صحيح (٣٢٨/٣).

والمعني: الطهارة عند النوم قسمان طهارة الظاهر وهي معروفة وطهارة الباطن وهي بالتوبة وهي آكد من الظاهر فربما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب فيتعين عليه التوبة، وأن يزيل من قلبه كل شيء بغيض ومكروه لكل مسلم(١).

ومن الطهارة سنن الفطرة: استكمالا للنظافة الجسدية والمظهر المتزن، جاءنا رسول الله (ﷺ) بتعليمات واضحة أطلق عليها سنن الفطرة حيث قال (ﷺ): "الفِطْرَةُ خَمْسٌ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ(٢)، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ"(٣).

"وقد كشفت لنا العلوم الطبية عن الأهمية الصحية البالغة لمثل هذه السنن، فترك الأظفار مجلبة للمرض، حيث تتجمع تحته ملايين الخلايا الجرثومية، ونقل الأمراض البكتيرية، والفطرية والطفلية والفيروسية، ولأن اليد أسرع تلوثا من غيرها بحكم عملها، فقد أعطاها الإسلام عناية خاصة، فسن استعمال اليد اليمني في تناول الطعام والمصافحة ، واليسرى في الاستنجاء مع التشديد علي نظافة اليد بشكل خاص، وهناك أمراض كثيرة ذكرها الدكتور سامان في كتابه (الأظافر ودورها في جراثيم الأمراض) المنشور عام (١٩٨٧م). وهكذا يصبح ترك الأظفار دون تقليم، مأوي مناسبا للجراثيم مهما حاول الإنسان تنظيفها.

أما الاستحداد: فله أهمية صحية علي الإنسان من نواح شتي، فمن الناحية الصحية ساعد ترك شعر العانة في البلاد الشرقية والغربية علي نشر مرض

---

(١) فيض القدير (٤/٢٧١) بتصرف.

(٢) "الاستحداد": حلق العانة. المفاتيح في شرح المصابيح (٥/٣٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط – كتاب الاستئذان برقم –٦٢٩٧ – (ج٨/ص٦٦).

خاص يسمي (تقمل العانة) حيث أصبح من الأمراض التي تتنقل عبر الاتصال الجنسي، ويصاب به أعداد كبيرة سنويا في الغرب من الذكور والإناث[١].

أما نتف الإبط: فلأن الإبط مكان كثير العرق، وتتجمع فيه الأوساخ التي تشكل وسطا مهما لنمو الجراثيم خاصة الفطرية منها، ناهيك عما يصدر عنه من رائحة.

أما الختان: فمدعاة للنظافة، وهناك أمراض لا علاج لها إلا الختان، وثبت أن سرطان عنق الرحم أقل عند نساء المسلمين من غيرهن نتيجة ختان أزواجهن.

أما قص الشارب: فلأن الشارب إذا طال تلوث بكل ما يشربه الإنسان، وبالتالي يساعد على تلوث الفم. وهكذا عندما تكون هذه السنن جزءا من حياة المسلم تصبح احتمالية إصابته بالأمراض الجرثومية ضئيلة جدا، ومهما بلغت التعليمات الحديثة من الدقة فلن تكون لها قاعدة جماهيرية عريضة كتلك التي تمتد شرقا وغربا امتداد العالم الإسلامي ذاته"[٢].

يقول الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري: "يتعلق بخصال الفطرة مصالحُ دينية ودنيوية تُدرك بالتتبع، منها: تحسينُ الهيئة، وتنظيفُ البدن جملةً وتفصيلاً، والاحتياطُ للطهارتين، والإحسانُ إلى المخالطِ والمقارِب بكفِّ ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفةُ شعار الكفار من المجوس، واليهود، والنصارى، وعباد الأوثان، وامتثالُ أمر الشارع، والمحافظةُ على ما أشار إليه قوله – تعالى –: {**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**}[٣]؛ لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، فكأنه قيل: قد حَسَّنْتُ صوركم، فلا تشوهوها بما

(١) الأمراض الجنسية عقوبة إلهية د/عبد الحميد القضاة (ص:١٠٥).

(٢) تفوق الطب الوقائي في الإسلام /تأليف د/عبد الحميد القضاة (١٧-١٩) باختصار.

(٣) سورة [التغابن: ٣].

يُقَبِّحُها، وحافظوا على ما يستمر به حسنُها، وفي المحافظة عليها محافظةٌ على المروءة، وعلى التآلف المطلوب؛ لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة، كان أدعى لانبساط النفسِ إليه، فيُقبل قولُه، ويُحمد رأيُه، والعكس بالعكس[١].

كما وجه الرسول (ﷺ) المسلمين أن ينظفوا أسنانهم قبل كل صلاة مفروضة أو نافلة، فقال: "لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ"[٢]. وقوله (ﷺ): "السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ"[٣].

- الأمر بمراعاة النظافة والطهارة في كل شيء؛ لأن أغلب الأمراض تأتي - كما يقول الأطباء- نتيجة عدم الاعتناء بالنظافة، واهتم الإسلام بالنظافة بصفةٍ عامةٍ، والنظافة الشخصية بصفةٍ خاصةٍ، لأنها تعتبر جزءًا من الشخصية الإسلامية، ولها دور مهم في سلامتها من الأمراض، ولذا عدها الإسلام من الإيمان، وهي تشمل طهارة البدن وطهارة الثوب وطهارة المكان وطهارة الأدوات التي يستعملها الإنسان في حياته. قال تعالي: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**}[٤] وقوله: {**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**}[٥]، روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي (ﷺ) قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...»[٦].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣٣٩/١٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب السواك يوم الجمعة كتاب الجمعة برقم - ٨٨٧ - (٤/٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب سواك الرطب واليابس للصائم - كتاب الصوم (٣١/٣).

(٤) [البقرة: ٢٢٢].

(٥) [المدثر: ٤].

(٦) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب فضل الوضوء كتاب الطهارة برقم (٢٢٣) (٢٠٣/١).

يقول ابن الجوزي: "أما الدين، فإنه قد أمر المؤمن بالتنظف، والاغتسال للجمعة، لأجل اجتماعه بالناس، ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثوم، وأمر الشرع بتنقية البراجم(١)، وقص الأظفار، والسواك، والاستحداد... وغير ذلك من الآداب؛ فإذا أهمل ذلك، ترك مسنون الشرع، وربما تعدى بعض ذلك إلى فساد العبادة، مثل أن يهمل أظفاره، فيجمع تحته الوسخ المانع للماء في الوضوء أن يصل"(٢). رأي ابن الجوزي في النظافة باعتبارها وسيلةً للوقاية من الأمراض، "وقد أثبت الطب الحديث أن للنظافة فوائد صحيةً تتمثل في:

– الوقاية من انتقال كثير من الأمراض المعدية التي تنتقل بتلوث الأيدي، والتي أهمها ما يسمى بأمراض القذارة، ويتم تخليص الأجزاء المكشوفة من البدن من هذه الأقذار التي تتعلق بها باستمرار للمحافظة علي صحة الإنسان من الأمراض.

"فعمليات الطهارة وما فيها من نشاطٍ وحركاتٍ وأفعالٍ عضلية تقوي الجسم وتنشطه وترفع من مقاومته للأمراض المختلفة، كما أنها تساهم في الوقاية من الأمراض التي سببها الخمول والكسل وكثرة الجلوس، وهي التي تسمى "أمراض المدنية الحديثة، وعلى رأسها السمنة –البدانة– ومرض السكر الكهلي، وتصلب الشرايين وارتفاع الضغط الشرياني، وصمامات شريانية تضرب القلب أو الدماغ أو سواهما"(٣).

– إسباغ الوضوء: يقول ابن الجوزي "وقد مدح إسباغ الوضوء"(٤) يقول تعالي: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى**

(١) ومعني والبَرَاجِمُ: (عُقَدُ الأصابع) المذكر والمؤنث المؤلف: أبو بكر، الأنباري (٣٧٨/١).

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ١٠٤).

(٣) وفي الصلاة صحة ووقاية تأليف د/ فارس علوان. (١٥٩).

(٤) التبصرة لابن الجوزي (٢١٧/٢).

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[1]، وبقول رسول الله (ﷺ): «مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ» [2].

ورسول الله (ﷺ) يقول: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ – أَوِ الْمُؤْمِنُ – فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ –، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ –، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ – حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[3].

وأما غسل الجنابة فروى عنه (ﷺ): "مَن تَرَكَ مَوضِعَ شعرةٍ مِن جنابة لم يَغسِلها فُعِلَ به كذا وكذا مِنَ النَّار"[4]؛ وذلك حتى يستشعر المسلم في أثناء الوضوء – وهو المدخل للصلاة – المعاني الإيمانية له، فلا يكون مجرد تنظيف محسوس للأوساخ الظاهرة، وإنما هو أيضًا تطهير للذنوب والآثام التي ارتكبتها

---

(١) [المائدة: ٦، ٧].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الطهارة – باب فضل الوضوء والصلاة عقبه برقم –١١ – (٢٠٨/١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه –كتاب الطهارة باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء برقم– ٣٢ – (٢٤٤) (٢١٥/١).

(٤) رواه أبو داود في سننه ت الأرناؤوط – كتاب الطهارة باب الغسل من الجنابة برقم– ٢٤٩ – وقال عنه المحقق: إسناده ضعيف مرفوعاً (١٨١/١).

الجوارح فتتهيأ النفس البشرية، وهي تستحضر هذه المعاني أثناء الوضوء، للتقرب من الله تعالى في طهارة كاملةٍ، باطنة وظاهرة.

ويقول ابن الجوزي "أن الجوارح كالسواقي توصل إلى القلب الصافي والكدر، فمن كفها عن الشر جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط فأذابتها وكفى بذلك حمية، فإذا جاء الدواء صادف محلا قابلا. ومن أطلقها في الذنوب أوصلت إلى القلب وسخ الخطايا وظلم المعاصي، فلو وضع الدواء كان بينه وبين القلب حجاب، فلا تكاد الجوارح تسلم من الخطايا إلا بالعزلة، فمن أمكنه فما أحسنه، ومن لم يمكنه تحفظ في مخالطته للخلق تحفظ المجاهد في الحرب. وتطهير القلب عن الأخلاق المذمومة من الحرص والحقد والحسد والكبر وغير ذلك، ولا يمكن معالجته من أدوائه بدوائه حتى تقع الحمية التي وصفناها في كف الجوارح، ثم يعالج كل داء بدوائه. وكم من متعبد يبالغ في كثرة الصلاة والصوم ولا يعاني صلاح القلب، وقد يكون عنده الكبر والرياء والنفاق والجهل بالعلم ولا يحس بذلك، وقد يكون تطلعه إلى تقبيل يده وإجابة دعائه، وهذه آفات لا دواء لها إلا الرياضة بالعلم ليقع التهذيب بإصلاح دائه، وإنما تنفع العبادة وتظهر آثارها وتبين لذاتها مع إصلاح أمراض القلب"(١).

وقد ذكرت في هذا المطلب وإن لم يكن منصوص عليه في القرآن؛ وذلك لأمرين:

الأول: بعض العلماء فسر قوله تعالي: {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**}(٢). بخصال الفطرة، يعني من الكلمات.

الثاني: أهمية هذه السنن وهي داخلة في النصوص العامة في القرآن الكريم التي تحثنا على كل أمر مفيد ونافع للبشرية.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (٢/٢٢٠-٢١٩).

(٢) [البقرة: ١٢٤].

المطلب الثاني
التدابير الوقائية في الصلاة

الصلاة أحد أركان الإسلام الخمسة، بل تعتبر أهم ركن فيها، فهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، ولا تسقط عنه بأي عذر من الأعذار، ويمكن للمسلم أداؤها بأي حال من الأحوال قائماً أو قاعداً أو جالساً أو نائماً حسب مقدرته، ومما لا شك فيه، أن كل مسلم يجب عليه أن يتقرب إلى خالقه (ﷻ)، وهذا التقرب يتطلب من المسلم معرفة الطريق السليم الذي يوصله إلى خالقه، ولا يتم ذلك إلا عن طريق العبادات، والصلاة هي أعظم العبادات عند الله؛ لأنها صلة مباشرة بين العبد وربه؛ لذلك فإن على الإنسان المسلم الاهتمام بمعرفة أحكام الصلاة؛لأنها الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، ولا تعد الصلاة صحيحة إلا باستكمال شروطها، وأن تؤدي الصلاة في مواقيتها المحددة؛ لتتم على أكمل وجه، إتباعاً لرسولنا الكريم (ﷺ) وأداء أركان الصلاة حتى تكون العبادة مقبولة، وعلى وجهها المشروع وأداء سنن الصلاة التي كان يواظب عليها رسول الله (ﷺ) وقد جاء في القرآن الكريم على لسان نبيه إبراهيم (عليه السلام) وهو يبني البيت الحرام قائلاً: **{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}**(١)، وقد فرضت الصلاة على جميع الأمم السابقة، وقد حث الأنبياء (عليهم السلام) على أدائها، وقد جاء ذكر الصلاة في العديد من سور القرآن، ومنه قوله تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**(٢)، وقد أمر النبي (ﷺ) أصحابه بالصلاة وعلمهم إياها حيث قال: "وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"(٣)، وقد حث الصحابة (رضي الله عنهم) على أدائها،

---

(١) [إبراهيم: ٤٠].

(٢) [البينة: ٥].

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه – مخرجا –– كتاب الوحي – باب الآذان – برقم – ١٦٥٨ – وقال عنه المحقق: إسناده صحيح على شرط البخاري (٥٤١/٤).

والصلاة هي صلة مباشرة بين العبد وربه، فهي تطهير للنفوس من الصفات القبيحة، قال تعالى: {**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ**}(١).

والصلاة تبعد المؤمن عن الفواحش والمنكرات، قال تعالى: {**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**}(٢)، وتكسب المسلم راحة نفسية وطمأنينة، لأنها تنسي هموم الدنيا، ومتاعب الحياة، وكان (ﷺ) إذا حزبه أمر يقول: "يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ، أرِحْنا بها"(٣).

لذا؛ تعد الصلاة أفضل علاجاً لما يصيب المسلم من وسوسة الشيطان، فهي شفاء للقلوب ومكفرة للذنوب ودواء للنفوس، تكسب المسلم قوة الإرادة قال تعالى: {**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**}(٤)، وقال (ﷺ): «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ»(٥)، "وفي الصلاة ذاتها رياضة للجسم، تعود عليه بالقوة والنشاط، ففي الركوع والاعتدال والسجود والقيام ما يقوي العضلات وينظم الدورة الدموية، وتساعد الصلاة علي هضم الطعام،

---

(١) [المعارج: ١٩ – ٢٢].

(٢) [العنكبوت: ٤٥].

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ت الأرناؤوط برقم سنن أبي داود ت الأرناؤوط –كتاب الأدب–باب في صلاة العَتَمة–٤٩٨٥ – وقال عنه المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات (٣٣٨/٧)، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة – مسند الأنصار– أحاديث رجال من أصحاب النبي (ﷺ) برقم – ٢٣٠٨٨ – وقال عنه المحقق: رجاله ثقات (١٧٨/٣٨).

(٤) [هود: ١١٤].

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه–كتاب الطهارة– باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر برقم – ١٥ – (٢٣٣) (٢٠٩/١).

ويقول رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَا قُلُوبُكُمْ»[1] أي يشير إلي ضرر النوم بعد الأكل مباشرة، وهذا مما يؤكده علماء الطب.

وعادة الانتظام في مواعيد الصلاة تربي في النفس انتظام المواعيد في كل شيء، في تناول الطعام، وفي الذهاب إلى العمل وفي أوقات النوم واليقظة والنظافة، وكذلك تعلم السكنية والوقار والخشوع...وبهذا يستطيع الانسان أن يواجه متاعب الحياة ومشكلاتها"[2].

ويقول تعالي: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**[3].

ويقول تعالي: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}**[4].

وفي قوله تعالي: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}**.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط-باب الفاء من اسمه: الفضل برقم- ٤٩٥٢ - (١٦٣/٥) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رواه الطبراني في الأوسط وفيه بزيع أبو الخليل، وهو ضعيف. (٣٠/٥).

(٢) الإسلام والوقاية من الأمراض (ص: ٦٠).

(٣) سورة [المائدة: ٦].

(٤) سورة [النساء: ٤٣].

طلب الله (ﷻ) من العبد "استكمال القوى العقلية، وتوجيهها إلى جانب العلي الأعلى؛ بأن لا تكون مشغولة بذكر غيره، طاهرة من الأنجاس والأخباث؛ لتكون على أتم العدة للوقوف في ذلك الموقف الرهيب، مستشعرة تلك العظمة والجلال والكبرياء"(١).

وفى الآية الكريمة: إشارة إلى أن المصلى حقه أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه، وأن يزكى نفسه عما يدنسها.

"وفي ذلك احترام للمسجد، وتكريمٌ لبيوت أذن الله تعالى أن يرفع ذكره فيها. والنهي هنا: نهى عن الصلاة في حال السكر؛ لأن ذلك يتنافى مع الخشوع والقصد وإخلاص النية في كل جزء من أجزائها لله تعالى(٢).

"**وفى هذه الآية:** تنبيه على أنه يجب على المصلى أن يحضر قلبه؛ حتى يعلم ما يقول، ويتعلم معاني القرآن، ويتدبر فيه ويتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه"(٣). وهذا؛ كله من قبيل الحفاظ على الصحة الجسدية للمسلم.

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٧٤/٦).

(٢) زهرة التفاسير (١٦٩١/٤).

(٣) التفسير المظهري (٢ ق ١١٢/٢).

﴿المطلب الثالث﴾
التدابير الوقائية في الزكاة

الزكاة: الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي أحد مباني الإسلام؛ لحديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"(١)، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى، فقد جمع الله بينها وبين الصلاة في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، وهذا يدل على عظم مكانتها عند الله (عز وجل)، وعظم شأنها منها، قوله تعالى: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}**(٢)، وقوله: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**(٣).

والزكاة قد تسمى صدقة؛ لأن الصدقة نوعان:

النوع الأول: صدقة تطلق على صدقة التطوع.

النوع الثاني: صدقة تطلق على صدقة الفرض، التي هي الزكاة، وهذا في القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال الله تعالى: **{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}**(٤)، وقوله تعالى: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان -باب قول النبي (ﷺ): «بني الإسلام على خمس» برقم-(٨) - (١١/١).

(٢) [البقرة: ٤٣].

(٣) [البقرة: ١١٠].

(٤) [التوبة: ٥٨].

حَكِيمٌ}[1]، وقوله: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[2]، وعن ابن عباس (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ) لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[3].

والإسلام يقدر غريزة حب المال، ويقرر أن الشح حاضر في النفس الإنسانية، فيعالج ذلك كله علاجاً نفسياً بالترغيب والترهيب، حتى يتم له ما يريد، فيطلب من هذه النفس الشحيحة أن تجود بما هو حبيب إليها، عزيز عليها. يقول تعالي: **{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}**[4]. ففي الزكاة طهارة من البخل والشح والطمع، ومن مقاصد مشروعية الزكاة نماء المال بكثرته وحلول البركة فيه يقول تعالي: **{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**[5]، وقوله: **{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}**[6]، والنبي (ﷺ) يقول: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ

(١) [التوبة: ٦٠].

(٢) [التوبة: ١٠٣].

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – صحيح البخاري (١٢٨/٢) – كتاب الزكاة– باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا– برقم– ١٤٩٦ – (١٢٨/٢).

(٤) [آل عمران: ٩٢].

(٥) [سبأ: ٣٩].

(٦) [البقرة: ٢٧٦].

يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"(١).

ويقول العلامة الرازي: "سعادة الإنسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال، وإنما تحصل بإنفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى، فإيجاب الزكاة علاج صالح متعين لإزالة مرض حب الدنيا عن القلب، فالله سبحانه أوجب الزكاة لهذه الحكمة. وهو المراد من قوله: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}**(٢)، أي تطهرهم وتزكيهم عن الاستغراق في طلب الدنيا.

وكثرة المال سبب لحصول الطغيان والقسوة في القلب، وسبب ذلك من أن كثرة المال سبب لحصول القدرة، والقدرة محبوبة لذاتها، والعاشق إذا وصل لمعشوقه استغرق فيه، فالإنسان يصير غرقا في طلب المال، فإن عرض له مانع يمنعه عن طلبه استعان بماله وقدرته على دفع ذلك المانع، وهذا هو المراد بالطغيان، وإليه الإشارة بقوله (ﷻ): **{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}**(٣)، فإيجاب الزكاة يقلل الطغيان، ويرد القلب إلى طلب رضوان الرحمن.

وأن الخلق إذا علموا في الإنسان كونه ساعيا في إيصال الخيرات إليهم، وفي دفع الآفات عنهم أحبوه بالطبع ومالت نفوسهم إليه لا محالة يقول تعالى: **{وَأَمَّا**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الزكاة- بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}** [الليل: ٦] «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا» برقم - ١٤٤٢ - (١١٥/٢).

(٢) [التوبة: ١٠٣].

(٣) [العلق: ٦، ٧].

مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}[1]، وبقوله (ﷺ): «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ»[2].

وأن المال سمي مالا؛ لكثرة ميل كل أحد إليه، فهو غاد ورائح، وهو سريع الزوال مشرف على التفرق، فما دام يبقى في يده كان كالمشرف على الهلاك والتفرق. فإذا أنفقه الإنسان في وجوه البر والخير والمصالح بقي بقاء لا يمكن زواله، فإنه يوجب المدح الدائم في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة[3]. وفي الزكاة تطهير قلب الفقير من الحقد والحسد،.فالحسد والحقد والكراهية أدواء فتاكة، تهدد المجتمع وتزلزل كيانه، وقد سعى الإسلام لمعالجتها ببيان خطرها بتشريع الزكاة، وهي أسلوب عملي فعال لمعالجة تلك الأدواء، ولنشر المحبة والوئام بين أفراد المجتمع المسلم، ومن مقاصد فرض الزكاة مضاعفة حسنات معطيها ورفع درجاته، وهو مقصد شرعي مهم، وفيه يقول الله: **{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**[4].

---

(١) [الرعد: ١٧].

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل –كتاب الطهارة– باب في الزكاة–برقم – ١٠٥ – (ص: ١٢٧). ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم – ١٠١٩٦ – (١٢٨/١٠) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه موسى بن عمير الكوفي، وهو متروك. (٦٤/٣)، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: رواه أبو داود في المراسيل ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعا متصلا والمرسل أشبه (١٨٢/١).

(٣) تفسير الرازي (٧٨/١٦– ٨٠) باختصار.

(٤) [البقرة: ٢٦١].

والزكاة تعبير عملي عن أخوة الإسلام، وتطبيق واقعي لأخلاق المسلم من جانب المزكي، وهي – أيضاً – تجعل الفقير يعيش في المجتمع المسلم خالية نفسه من أي حقد أو حسد، ذلك لأنَّ حقه محفوظ في مال الغني، فنجده يحبه ويدعو له بالبركة وكثرة المال، وعندما يأخذ الفقير المال من الغني يكون منقاداً لأمر الله، وفيها تحقيق الضمان والتكافل الاجتماعي، بل هي، جزء رئيس من حلقة التكافل الاجتماعي، التي تقوم على توفير ضروريات الحياة، من مأكل، وملبس ومسكن، وسداد الديون، وإيصال المنقطعين إلى بلادهم، ونحو ذلك من أوجه التكافل، التي قررها الإسلام، يقول تعالي: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**(١)، وقوله (ﷺ): "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"(٢).

وقوله (ﷺ): «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(٣)، فالزكاة وسيلة كبرى للتعاون والتراحم والتضامن بين الناس، وبها تندفع آفات خطيرة عن المجتمع، كالحسد والبغضاء، مما يمكِّن المسلمين من التعاون على البر والتقوى، وتحقيق الغاية التي خلقوا لها وهي عبادة الله. يقول تعالي: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**(٤). فهي مكفرة للذنوب وتدفع البلاء عن المجتمع وتجلب له الرحمة من الله، قال تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ..}**(٥).

---

(١) [الحجرات: ١٠].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والآداب– باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم –٦٦ – (٢٥٨٦) (١٩٩٩/٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه–كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم– برقم –٦٥ – (٢٥٨٥) صحيح مسلم (١٩٩٩/٤).

(٤) [المائدة: ٢].

(٥) [الأعراف: ١٥٦].

المطلب الرابع
التدابير الوقائية في الصيام

من الأحكام التي شرعها الله تعالى للأمة الصيام، وهو من العبادات الرامية إلى تزكية النفس ورياضتها، وفي ذلك صلاح حال الأفراد إذ منها يتكون المجتمع، والصيام له فوائد: أنه يجمع قوة النفس والإرادة و صورة من صور الوقاية والرعاية الصحية، فإن أجهزة الجسم كلها وبخاصة الجهاز الهضمي تعمل طوال السنة ليل ونهار لا تهدأ ولا تسكن، وهذا العمل الدائب المتواصل مجهد لها بطبيعة الحال، ومن الطبيعي أن تحتاج للراحة وليس لها، إلا، الصيام، حيث ترتاح فيه المعدة، والأمعاء طوال النهار علي امتداد شهر كامل راحة تامة "وشهر رمضان من الناحية الصحية كالإجازة السنوية للموظف، فهو يريح المعدة، ويذيب بعض ما تراكم من دهون في الجسم"(١)، وقد عرف علماء الطب الحديث الصيام علاجا ووقاية لكثير من الأمراض المستعصية، بل قرر العديد من الأطباء أن الصيام هو الدواء الوحيد لبعض الأمراض، "ويؤدي الصيام إلي هدوء الدورة الدموية وانخفاض ضغط الدم المرتفع؛ ولذلك يلاحظ أن نسبة المرضي المترددين علي عيادة الضغط تنخفض في شهر رمضان، وينصح الأطباء من يعاني من زيادة الوزن بإتباع نظام غذائي... والصيام بطبيعته يحقق ذلك، لو تم تناول طعام الفطور والسحور في رمضان وما بينهما باعتدال، وبإنقاص الوزن تتحسن التهابات المفاصل بأقل التكاليف والنفقات.

الصيام أمر محبب للوقاية من أمراض شرايين القلب، والتشبه بسنة النبي الكريم (ﷺ) والصحابة الأبرار (رضي الله عنهم) حينما كانوا يصومون لا يسرفون إذا أحل لهم الطعام..

(١) تفوق الطب الوقائي في الإسلام د. عبد الحميد القضاة (ص: ١٨).

يقول تعالي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[1].

ومعني قوله: (لعلكم تتقون) بيان لحكمة الصيام، وما لأجله شرع، والتقوى الشرعية هي اتقاء المعاصي، وإنما كان الصيام موجبا لاتقاء المعاصي، لأن المعاصي قسمان، قسم: ينجح في تركه التفكر كالخمر والميسر والسرقة والغصب فتركه يحصل بالوعد على تركه والوعيد على فعله والموعظة بأحوال الغير،

وقسم: ينشأ من دواع طبيعية كالأمور الناشئة عن الغضب وعن الشهوة الطبيعية التي قد يصعب تركها بمجرد التفكر، فجعل الصيام وسيلة لاتقائها، ففي الصوم وقاية من الوقوع في المآثم، ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات[2]. ويقول النبي (ﷺ): «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[3].

---

(١) [البقرة: ١٨٣ – ١٨٦].

(٢) التحرير والتنوير (١٥٨/٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب النكاح– باب قول النبي (ﷺ): «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح" برقم– ٥٠٦٥ (٣/٧).

فنجد أن الشريعة الإسلامية أباحت للمسافر أن يفطر في شهر رمضان؛ حتى لا تجتمع عليه مشقة السفر مع مجهود الصوم، فتضعف قوته وتؤثر علي صحته، ويباح للمريض أن يفطر؛ حتى لا يزداد عليه مرضه بالصوم وعدم الطعام، وكذلك المرأة الحامل حفاظاً علي صحتها وصحة جنينها. وهذا من رحمة الله بعبادة تيسيراً عليهم وشفقة لهم. ويقول الرسول (ﷺ): «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»[1]، ومعني (الصوم جنة): بضم الجيم، أي مانع من النار، أو من المعاصي بكسرة الشهوة وضعف القوة، وقال ابن الأثير في النهاية: (الصوم جنة) أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات والجنة الوقاية[2].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه –كتاب الصيام– باب فضل الصيام برقم– ١٦٢ – (٨٠٦/٢).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (٣٠٤/٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٠٨/١).

المطلب الخامس
التدابير الوقائية في الحج

بيَّن القرآن الكريم حكمة الحج في قوله تعالى: {**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**}[1]، الحج عبادة معروفة، تحتاج من الإنسان قلبه وبدنه وماله، وليس ذلك لغيرها من العبادات، يقوم بها المستطيع من المسلمين في زمن معلوم، وأمكنة معلومة؛ امتثالًا لأمر الله، وابتغاء مرضاته، وتَبتدئ تلك العبادة بنية الحج خالصًا لله، مع التجرد من الثياب المخيطة، ومن صنوف الزينة والترف، وتنتهي بالطواف حول بيت الله الحرام. وقد عُني القرآن الكريم بأشهر الحج عنايته بالحج، كما عني بالأشهر الحرم عنايته بتطهير النفس من المظالم، وكف العدوان والبغي، ولفت أنظار المؤمنين إلى ما لهذه الأشهر كلها من بواعث البر والتقوى، وبواعث الترفع بالنفس.

يقول تعالي: {**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**}[2]. وفي أشهر الحج يقول الله: {**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**}[3]، ومما يدل على مكانة البيت الحرام وما تميز به من مميزات قوله

(١) [الحج: ٢٧ – ٢٩].
(٢) [التوبة: ٣٦].
(٣) [البقرة: ١٩٧].

تعالي: {**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**}(١).

وفي معني الاستطاعة يقول العلامة الرازي: اتفق الأكثرون على أن الزاد والراحلة شرطان لحصول الاستطاعة، وعن عكرمة أيضا أنه قال: الاستطاعة هي صحة البدن، وإمكان المشي إذا لم يجد ما يركبه. ورجح العلامة الرازي أن كل من كان صحيح البدن قادرا على المشي إذا لم يجد ما يركب، فإنه يصدق عليه أنه يستطيع لذلك الفعل، فتخصيص هذه الاستطاعة بالزاد والراحلة ترك لظاهر اللفظ، فلا بد فيه من دليل منفصل، ولا يمكن التعويل في ذلك على الأخبار المروية في هذا الباب؛ لأنها أخبار آحاد فلا يترك لأجلها ظاهر الكتاب(٢).

وقوله (ﷺ): "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (ﷺ)، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى"(٣).

وفي الحج: يشاهد الإنسان الأماكن المقدسة، التي شهدت ميلاد الإسلام، وولادة الرسول (ﷺ) ورسالته وجهاده وهديه. وفى الحج يتعرف المسلمون، من كل قطر، على إخوانهم، ويتدارسون شئونهم ويعرفون آلامهم وآمالهم. وربما تعاقدوا على شراء ما يلزمهم أو على عمل ما ينفعهم.

وفي الحج سياحة في أرض الله، وأداء لمناسك مقدسة، ورؤية بيت الله الحرام، وزمزم والصفا والمروة، وعرفات والمشعر الحرام بالمزدلفة ومنى.

---

(١) [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠٤/٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة بـــاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة– برقم (١١٨٩) – (٦٠/٢).

وبعد الحج زيارة قبر النبي (ﷺ) يقول (ﷺ) «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ»[1]، وزيارة قبور الصحابة (رضي الله عنهم) في البقيع وشهداء أحد، ومواقع المعارك.

ولا تنس ما في أعمال الحج من منافع، حيث يتجرد الناس عن أمور الدنيا، لا يحملهم شيء على هذا التجرد إلّا تقوى الله، والمبادرة إلى امتثال أمره. يتذكرون باجتماعهم وتجرّدهم هول المحشر، والوقوف بين يدي ربهم، فتشتد خشيتهم، ويعظم خوفهم، فيتجنبون الموبقات والآثام.

وفي تعظيم البيت وجعله أمنا للخائف وملجأ للعائذ، أمر أودعه الله في قلوب الناس منذ القدم، وليس هناك ما يمنع الناس من الاعتداء غير ما أودعه الله في القلوب من الهيبة والجلال لتعظيم البيت. وقد طبع الناس على الشر، فلا يكبح جماحهم في نفوسهم إلا امتثال أمر الله. وبذلك أمكن أن يعيش الناس في هذه الأرض الجرداء، فسبحان المدبر الحكيم[2].

ومن فوائد الحج: أنه يكفر الذنوب، ويطهر النفس من شوائب المعاصي، ويعيدها إلى الصفاء والإخلاص مما يؤدي إلى تجديد الحياة ورفع معنويات الإنسان، وتقوية الأمل وحسن الظن بالله تعالى. يقول (ﷺ) «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[3].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة -باب فضل ما بين القبر والمنبر - برقم ١١٩٥ - ومعني (بيتي) مسكني وهو مكان قبره الآن (ﷺ) (٦١/٢).

(٢) تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: ٤٠٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور برقم- ١٥٢١ - (١٣٣/٢).

والحج يعود الإنسان الصبر، وتحمل المتاعب، ويعلم الانضباط والتزام الأوامر، فيستعذب الألم في سبيل إرضاء الله تعالى ويدفع إلى التضحية والإيثار. ويؤدي بلا شك إلى تعارف أبناء الأمة على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأوطانهم، وإمكان تبادل المنافع العادية فيما بينهم، والمذاكرة في شؤون المسلمين العامة وتعاونهم صفاً واحداً أمام أعدائهم. ويشعر الحاج بقوة الرابطة الأخوية مع المؤمنين في جميع أنحاء الأرض، ويشعر الناس أنهم حقاً متساوون، ويساعد الحج على نشر الدعوة الإسلامية ودعم نشاط الدعاة في أنحاء المعمورة على النحو الذي بدأ به النبي (ﷺ) لنشر دعوته بلقاء وفود الحجيج كل عام(١).

ولا يخفى أن للحج فضيلةً ودرجة ليست لغيره من العبادات والطاعات، يقول تعالى: {**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**}(٢)، ومعني قوله: {**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**} قيل: هي المغفرة، وقيل: التجارة، وقال مجاهد وعطاء: بل يعم منافع الدنيا والآخرة، ويقول الواحِدِيُّ: أكثر المفسرين: جعلوها منافع الدنيا، وقالوا: يعني التجارة والأسواق. وهو قول سعيد بن جبير، والسدي، وابن عباس في رواية أبي رزين. "فدلَّ على جَوازِ التجارةِ كقوله تعالى: {**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**}"(٣). ومنهم من خصها بمنافع الآخرة، وهو قول سعيد بن

(١) الأساس في السنة وفقهها – العبادات في الإسلام (٢٧٤٦/٦).

(٢) [الحج: ٢٧ – ٢٩].

(٣) [البقرة: ١٩٨].

المسيب، والعوفي، واختيار الزجاج، قال: ليشهدوا مَا نَدَبَهُم اللَّهُ إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم(١).

وقال الزمخشري: نكر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات. وعن أبى حنيفة (رحمه الله): أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حجّ فضل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص(٢). وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت(٣).

وعن النبي (ﷺ)، قال: "تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ"(٤).

وهو عبادة جليلة لله تعالى بالتذلُّلِ، والخضوع والخشوع، وبذل النفس والنفيس من النفقات، وتجشم الأسفار والأخطار، ومفارقة الأهل والأوطان، كل ذلك طاعة لله تعالى، وشوقًا إليه، ومحبة له، وتقربًا إليه في قصد الكعبة المشرفة، والبقاع المقدسة(٥). ففي الحج منافع دينية وعلمية وتجارية وسياحية.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٢٣/٣)، التفسير الوسيط للواحدي (٢٦٧/٣).

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١٥٢/٣).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦١٠/١٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة مسند المكثرين من الصحابة–مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه برقم– ٣٦٦٩ – وقال عنه المحقق: صحيح لغيره، وهـذا إسناد حسن من أجل عاصم –وهو ابن أبي النجود–، وبقية رجاله ثقات (١٨٥/٦).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٤/٤).

"وهذا كله يُبيِّن أن الحكمة لمشروعية الحج: إظهار العبودية لله تعالى، وأن الحج يشتمل على حِكم جليلة، كثيرة، وفوائد عديدة، تدركها العقول الصحيحة، والفطر السليمة، وتشمل حياة المسلم: الروحية، والمالية، والجسدية، ومصالح المسلمين: في الدين، والدنيا"(١). ويصبح الحج عبادة ذات منافع متعددة، إذا فهم المسلمون حكمته ورسالته.

وفيه أداء شكر نعمة الصحة والمال، وهما من أعظم نعم الله على الإنسان في الدنيا، وفيه تدريب النفس على الوصول إلى أعلى درجات الإيمان والصبر. فالحج حق واجب لله (ﷻ) فيجب علينا الانقياد سواء عرفنا وجه الحكمة فيها أم لم يعرفوا؛ فإن كثيرا من أعمال الحج تعبد محض.

وإذا صحت عقيدة المسلم أخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات التي يراد بها صلاح الفرد، وهي في الوقت نفسه ذات علاقة وثيقة بصلاح المجتمع، وحسب المسلم في تدابيره الوقائية أن يقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم الواحد لتمتزج حياته بشرع الله، ويتخيل الوازع الأعلى نصب عينيه ما بين كل صلاة وصلاة: يقول تعالي: **{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**(٢)، **وبالإضافة إلي الزكاة التي تقتلع من النفس جذور الشح: يقول تعالي: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}**(٣)، والحج الذي يجمع المسلمين على صعيد واحد: يقول تعالي: **{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ}**(٤) والقيام بهذه العبادات يربي المسلم على الشعور بالتبعة الفردية التي

(١) مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٦٧).
(٢) [العنكبوت: ٤٥].
(٣) [التوبة: ١٠٣].
(٤) [الحج: ٢٨].

يقررها القرآن، وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين يقول تعالي: {**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**}(١). وذلك؛ لأن القرآن دستور تشريعي كامل، يقيم الحياة الإنسانية على المستويين الفردي والجماعي على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل تشريعه وجها من وجوه إعجازه ما بقي الدهر، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالم أثرا غيّر وجه التاريخ.

(١) [الطور: ٢١].

﴿ المبحث الثاني ﴾
وقاية القرآن لصحة الفرد وحمايته من الأمراض والآفات

﴿ المطلب الأول ﴾
التغذية الصحية الوقائية

يقول تعالي: {**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}(١).

كتاب الله تعالي يوجه المسلمين إلى النظافة، وإلى أن يأخذوا زينتهم عند الذهاب إلى المساجد، وهم يذهبون إليها خمس مرات، على الأقل، وأن يقتصدوا في الأكل والشرب ولا يسرفوا، فهو يوجه إلى التغذية الصحية.

ومن توجيه الإسلام إلى الوقاية من الأمراض، تحريمه المأكولات الضارة تحريمًا صريحًا. فقد جاء في محكم التنزيل: {**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**}(٢).

ويقول النبي (ﷺ): «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ» وَقَالَ ابن عباس: "كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ"(٣).

---

(١) سورة [الأعراف: ٢١].

(٢) سورة [المائدة: ٣].

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه البخاري– كتاب اللباس– باب قول الله تعالي: {**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**} [الأعراف: ٣٢] (٧/١٤٠). ومعني (مخيلة) من الخيلاء وهو التكبر.

وقال علي بن الحسين بن واقد[١]: قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال: "**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا**"

وفي الآية: دليل على أن جميع المطعومات والمشروبات حلال إلا ما خصه الشرع دليل في التحريم؛ لأن الأصل في جميع الأشياء الإباحة إلا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل، والله تعالى لا يحب من إسراف المأكول والمشروب والملبوس.

وفي هذه الآية: وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الأشياء؛ لأن محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد، وإيصال الثواب إليه، فدلت الآية على الوعيد **الشديد في الإسراف**[٢].

والآية قاعدة عامة: نزلت ناهية عن الإفراط والشرَه، في الطعام والشراب، فإن في ذلك أضرارا كثيرة.

وعن عمر بن الخطاب (ﷺ): قال: "إِيَّاكم والبطنة من الطعام والشراب، فإنها مَفْسَدة للجسد، مورثة للسَّقَم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أَصلح للجسد وأَبْعَدُ عَن المسرف، وإِن الله ليبغض الحبر السمين. وإِن الرجل لن يهلك، حتى يؤثر شهوته على دينه"[٣].

---

(١) علي بن الحسين بن واقد، أبو الحسن، المروي. مولى عبد الله بن عامر بن كريز القرشي. الإمام المحدث الصدوق أبو الحسن المروزي سمع أباه وحدث عن أبي حمزة السكري. حدث عنه: إسحاق بن راهويه، ومحمود بن غيلان وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. ومات سنة إحدى عشرة ومئتين، وولد سنة ثلاثين ومئة. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٧٩/٦)، التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، (٢٦٧/٦).

(٢) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (١٩٤/٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في الطب النبوي -باب تدبير الصحة وأن الصوم مصحة- نفي الهموم مصحة للجسم: برقم- ١٢٧- (٢٤٣/١).

وإنما يكره الله الحبر السمين، لأَن المطلوب من أهل العلم، التقلل في الطعام والشراب وإيثار الآخرة على الدنيا، وطلب السلامة للجسد. أما العالِم المسرف في طعامه وشرابه، المستكثر من الدسم، فهو مؤْثر لشهوة بطنه، مهتم بدنياه عن آخرته. فلذا يكرهه الله تعالى، لأَنه بذلك أسوأُ قدوة لغيره.

ولعل الغرض: أَن الله يكره له ذلك، لا أَنه يبغضه فعلا، فإن الله لا يبغض سوى أَهل المعاصي.

وقد أجمع الأَطباءُ – قديما وحديثا – على أَن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواءِ، وأن الدواء قلَّما ينفع مع عدم الحمّية. والأفضل: التقليل من الطَّعام، فإن فيه السلامة.

يقول (ﷺ): "مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٍ، وَثُلُثٌ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ"(١).

والحديث دليل على ذم التوسع في المأكول والشبع والامتلاء، والإخبار عنه بأنه شر؛ لما فيه من المفاسد الدينية، والبدنية، فإن فضول الطعام مجلبة للسقام ومثبطة عن القيام بالأحكام، وهذا الإرشاد إلى جعل الأكل ثلث ما يدخل المعدة من أفضل ما أرشد إليه سيد الأنام (ﷺ)، فإنه يخفف على المعدة ويستمد من البدن الغذاء وتنتفع به القوى ولا يتولد عنه شيء من الأدواء(٢).

ما أَعظمَ حكمةَ سيدنا رسول الله (ﷺ)، في هذا الدستور، الذي وضعه لحماية الجسم البشرى من شَرَهِ جَهَازِهِ الهضميِّ "فإنَّ الأكل الكثير يورث التخمة، ونتن

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده حديث المقدام بن معدي كرب الكندي أبي كريمة، عن النبي (ﷺ) مسند الشاميين برقم –١٧١٨٦ – (٤٢٢/٢٨)، ورواه الإمام الترمذي في سننه ت شاكر– باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل – أبواب الزهد عن رسول الله (ﷺ) برقم– ٢٣٨٠– وقال عنه:"هذا حديث حسن صحيح" (٥٩٠/٤).

(٢) سبل السلام المؤلف: للكحلاني ثم الصنعاني (٦٥١/٢).

الفم، والجَشاء؛ لتخمُّر الطعام وفساده، وذلك يستتبع شتَّى العلِل. وقد يموت المرءُ بسكتة قلبيّة بسبب امتلاء بطنه، وضغطه على القلب"[١].

والقصة المعروفة في الكشاف: يحكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان؛ فقال له: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه. قال: وما هي؟ قال: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}** [الأعراف: ١٤١] فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب، فقال: قد جمع رسولنا (ﷺ) الطب في ألفاظ يسيرة. قال: وما هي؟ قال: قوله (ﷺ): "المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وأعط كل بدن ما عودته"[٢]. فقال: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبًا[٣].

واقتصر البيضاوي على قول الحسين: "قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه قوله: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}** [الأعراف: ١٤١] [٤]. ومعني الآية

---

(١)التفسير الوسيط – مجمع البحوث (١٤١٠/٣).

(٢) قال عنه الإمام الزيلعى غريب جدا برقم- ٤٦٢ – الحديث الثالث. في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (٤٥٩/١)، وقال : الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة (رحمه الله) ولئن أصاب في الآية، فقد أخطأ في ذكره الحديث ؛ فإنه ليس من كلام النبي (ﷺ) وإنما هو من "كلام الحارث بن كلدة" "طبيب العرب"، فنسبته إلى النبي كذب واختلاق عليه، نعم هناك من قول النبي (ﷺ) ما أهو أدق وأوفى من هذا، وهو قوله (ﷺ): "ما ملأ ابن آدم وعاء شراء من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات –أي لقيمات– يقمن صلبه، فإن كان ولا بد، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"، رواه الترمذي وقال : حديث حسن. في الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للمؤلف: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ــ (ص: ٤١٩).

(٣) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١٠٠/٢).

(٤) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل – (١١/٣).

الكريمة: وَلا تُسْرِفُوا بتحريم الحلال، أو بالتعدي إلى الحرام، أو بإفراط الطعام والشره عليه. إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ أي لا يرتضي فعلهم(١). ولا تتجاوزوا حدود الله، كما لا يجوز الإسراف الكثير بملء البطن مِلْئاً شديداً من الأكل والشرب حتى يتكاسل الإنسان ولا يتنشط لطاعة الله، وتأتيه الأمْرَاض؛ لأنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شرّاً مِنْ بَطْنِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ كَثِيرَ الأكْلِ والشُّرْبِ لا تراه يقوم الليل، ولا يتنشط للعبادات، ولا ينشط لسانه لذكر الله، فهو كسول ملول، وكذلك ربما نشأت له الأمراض. وهذا معنى قَوْلِهِ: **{وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}**(٢). وهذا هو العدل الذي أمر الله به.

وقد كان الإمام البيضاوي على صواب، حينما ذكر القصة التي ذكرها الزمخشري، ولكنه اكتفى بالآية، ولم يذكر الحديث، لأنه ليس من كلامه (ﷺ).

والطب نوعان الأول: طب حِمْيَة، وهو تَوَقٍّ للداء قبل أن ينزل الداء. **والثاني:** طب علاج ومداواة بعد أن ينزل الداء. وأن من أعظم طب الحمية هو قوله: **{وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ}** فتخفيف الأكل يستوجب صِحَّةَ البَدَنِ، وهذه الآية: جاءت على أعظم طب الحمية. فالإسراف المنهي عنه في الأكل؛ لأنه يؤدي إلى التكاسل في طاعات الله، ويسبب الأمراض وغير ذلك.

ويقول العلامة الألوسي: "أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالبا، فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب"(٣).

ومجمل القول في ذلك: أن الإسلام قد عنى عناية فائقة بالنمو الجسدي للإنسان عن طريق التغذية السليمة المفيدة، وعلاجيه مما يصيبه من أمراض.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل – هـ (١١/٣).

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١٦٦/٣).

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني ط أحياء التراث (٩٦/١٩)، وينظر في: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٤٩/٦).

مصداقًا لقوله (ﷺ) "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً"(١).

وعَنِ ابن عباس (رضي الله عنهما)، **قال:** "أَحَلَّ اللهُ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ مَا لَمْ يَكُنْ سَرَفًا وَلَا مَخِيلَةً"(٢).

قال رسول الله (ﷺ): "إِنَّ مِنْ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ"(٣).

في هذه الكلمات القليلة البليغة جمع النبي (ﷺ) أسس القواعد الصحية التي كان المسلمون يتبعونها في حياتهم وصانتهم من العلل والأسقام، وأغنتهم عن الطبيب وشتى وسائل العلاج

والرسول (ﷺ) يبين في وضوح أنه ما من إنسان يملأ بطنه بالطعام إلا كان ذلك شرا له ووبالا على صحته.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء -كتاب الطب برقم -٥٦٧٨ - (١٢٢/٧).

(٢) أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان برقم -٦١٥٢ -(٥٠٦/٨) باب الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل)، وذكر في تغليق التعليق رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر مثله (٥٤/٥). وقال عنه ابن كثير في تفسيره إسناده صحيح تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٦٦/٣).

(٣) أخرجه الإمام أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه برقم- ٣٣٥٢ - باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت -أبواب الأطعمة وقال عنه المحقق: إسناده ضعيف جدًا لضعف بقية بن الوليد ونوح بن ذكوان وجهالة يوسف ابن أبي كثير. ت الأرنؤوط (٤٥٠/٤) ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده برقم ٢٧٦٥ - و[حكم حسين سليم أسد]: إسناده سلسلة من العلل - مسند أنس بن مالك -ما أسنده الحسن بن أبي الحسن، عن أنس بن مالك (١٥٤/٥)، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء -سهل بن عبد الله بن الفرحان -[ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد] وقال عنه : غريب من حديث الحسن، عن أنس، لا أعلم رواه عنه إلا نوح (٢١٣/١٠).

وقد قيل: كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب الأعمار، وكثيرا ما كانت البطنة سببا في أمراض متعددة، وقال ثابت بن قرة[١]: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة اللسان في قلة الكلام وهذا لقمان الحكيم (عليه السلام) يوصي ابنه فيقول له: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة، وهذا شر ما يبتلي به الإنسان في حياته، وهذه المضار الكثيرة التي يسببها الإفراط في تناول الطعام، وكثيرا ما كان الشره الزائد للطعام عند الإنسان داعية إلي احتقار النفوس وازدراء العيون له، وجعله عرضة للتهكم والسخرية حتى كان ذلك لكثير من الناس مذلة لزمهم عارها طول الزمن، وإن كان امتلاء المعدة شرا مستطيرا وداء عضالا، فإن شدة الجوع تؤدي إلي ضعف الجسم وهزاله، ولا يستطيع علي عمل أو حركة؛ ولما كان الغذاء هو مادة الحياة والحافظ لكيان الجسم كان عدم تناول القدر الكافي الملائم عنه، ضار إلي أبعد الحدود؛ ولهذا؛ فإن أحسن الحالات أن يعتدل الإنسان في غذائه فلا يسرف ولا يقتر تقتيرا، بل يكون بين ذلك قواما[٢].

"ومهما يكن من الطب والعلاج، فالشفاء دائما من اللَّه واهب القوى، والقادر على كل شيء، وكثيرا ما يقول الطبيب وقد عجز: إن الشفاء بمعجزة، ويفوض الأمر إلى اللَّه تعالى القادر على كل شيء"[٣].

---

(١) "إقليدس العرب" (ثابت بن قرة)" إن العالم الإسلامي ثابت بن قرة هو العالم الذي أفاد علماء الغرب فيما بعد في تطبيقاتهم وأبحاثهم الرياضية في القرن السادس عشر والتي كانت أساسًا لظهور الحضارة الغربية المعاصرة. مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ (ص: ٢٧٣).

(٢) الإسلام والوقاية من الأمراض (ص:٤٢).

(٣) زهرة التفاسير (٥٣٦٨/١٠).

المطلب الثاني
المحرمات من الأطعمة والأشربة

منهج الإسلام في الحلال والحرام من الأطعمة منهج يدور على جلب المنفعة ودفع المفسدة تشريع من عليم حكيم بكل شيء، تشريع صالح لكل زمان ومكان ولجميع طوائف البشر. فلا حلال إلا ما أحله الله تعالي ولا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه سبحانه، فحث على الأكل من الحلال وحذر من الأكل من الحرام.

وللمطعم الحلال الطيب أثر بالغ على الإنسان في صحته وسلوكه وحياة قلبه واستنارة بصيرته وقبول دعائه ــ وعلى العكس للمطعم الخبيث أثر سيئ على الإنسان في صحته وحياته وسلوكه.

من ذلك قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}**(١). أي مستطابًا في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول إذ كل ما أحله الله من المأكل والمشرب يحمل تلك الصفة فهو طيب نافع في البدن والدين ــ وما كان كذلك فلابد أن يكون مستجمعًا للنفع وانتفاء الضرر ــ يقول تعالى: **{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}**(٢).

ومما يدل على اعتبار انتفاء وصف الضرر في المطعوم قوله تعالى: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**(٣) وقوله تعالى: **{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}**(٤) وقد نزلت أربع آيات كريمات في كتاب الله (ﷻ) تحرم الخنزير وأنواعاً الأطعمة الأخرى،

---

(١) [البقرة: ١٦٨].

(٢) [الأعراف: ١٥٧].

(٣) [البقرة: ١٩٥].

(٤) [النساء: ٢٩].

قال تعالى: {**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(١).

وقال تعالى: {**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(٢).

وقوله: {**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(٣).

وقوله: {**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(٤).

وفي هذه الآيات الكريمات: يبين الله تعالي ما حرم على عباده، وهو سبحانه له الخلق والأمر، يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، وقد يظهر لنا بعض الحكم من تلك الأوامر والنواهي، وإن خفيت علينا كلها فنقول سمعنا وأطعنا، بيد أن بعض العلماء بحثوا عن بعض الحكم فبينها الله لهم رحمة منه، حيث أثبتت البحوث العلمية أخطار أكل كل من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وأثر كل ذلك على صحة الإنسان، فمن الدلالات العلمية للآية الكريمة:

---

(١) [البقرة: ١٧٣].

(٢) [الأنعام: ١٤٥].

(٣) سورة [المائدة: ٣].

(٤) سورة [النحل: ١١٥].

أولا: تحريم أكل الميتة

"موت الحيوان قبل تذكيته قد يكون بسبب مرض من الأمراض العضوية، أو الفيروسية التي ألمت به، أو بسبب شيخوخة أصابته، وهذا سبب كاف (للنفور من أكله) لتحريم أكل لحمه، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يؤدي إليه الموت دون تذكية (أي دون إراقة دمه) إلى احتباس دمه في جسده اتضحت لنا الحكمة الإلهية من تحريم أكل لحوم الميتة.

ثانيا: تحريم أكل الدم المسفوح كطعام

الدم هو السائل الأحمر الذي يتكون من أخلاط عديدة منها الخلايا الحمراء الممتلئة بمادة الهيموجلوبين التي تقوم بنقل الأكسجين إلى مختلف خلايا الجسم، والخلايا البيضاء التي تدافع عن الجسم ضد غزو حاملات الأمراض من الجراثيم. فالدم السائل ناقل للأمراض الخطيرة مثل مرض نقص المناعة (مرض الإيدز)، وهو مرض قاتل لا علاج له، والدم المسفوح بمكوناته الأساسية، وبما يحمله من نواتج عملية التمثيل الغذائي ومن عوادم، وفضلات متجمعة فيه إذا حبس بداخل جسم الحيوان الميت الذي لم يذك، فإنه سرعان ما يبدأ في التجلط على ما فيه من سموم كانت في طريقها إلى الأجهزة المختلفة التي تخلص الجسم منها،

ومن هنا كانت الحكمة الإلهية في تحريم أكل الدم المسفوح. "وحتم الذبح الشرعي الذي يقوم بتصفية دم الحيوان بعد ذبحه، فلا يضار الإنسان به، وحرم الإسلام أيضا أكل المخنوقة؛ لأن الكائن الحي إذا اختنق فإن الأكسجين لا يدخل رئتيه ويتراكم ثاني أكسيد الكربون السام، وجميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع التنفس في عملية الزفير – وهذه المادة إذا احتبست عادت لتمتص في الجسم وتحدث التسمم في كل أنسجته. وحرم الإسلام أيضا أكل الحيوان الذي يضرب ضربا يؤدي إلى الموت، وحرم بقايا ما أكل السبع والحكمة في تحريم

هذه الحيوانات قد تكون مصابة في فمها ولعابها وتبقي آثاره علي اللحم فتؤذي من يأكل منه"[١].

ثالثا: تحريم أكل لحم الخنزير

الخنزير وصفه– الله تعالى– بأنه رجس وهي كلمة جامعة لكل معاني القذارة والقبح والنجاسة والإثم؛ لأنه حيوان كسول ورمام يأكل الجيف والقمامة كما يأكل فضلاته، وفضلات غيره من الحيوان وينقل العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان، والخنزير معرض للإصابة بالعديد من الأمراض من أمثال (حمرة الخنزير) التي تسبب فيها أنواع خاصة من البكتريا، وتنتقل إلى الإنسان، وثبت أن كلا من لحم الخنزير ودهنه ودمه يساعد على انتشار العديد من الأمراض السرطانية مثل: سرطان القولون، والمستقيم، والبنكرياس... ولأَنه يحمل بويضات الدودة الشريطية، وهي أخطر أسباب الضعف وفقر الدم للإنسان، فإنها تمتص خلاصات الأغذية التي يتناولها، وهي على شكل شريط طويل، يمتد في الأمعاء، وهي شديدة النهم، ولا تكاد تشبع، وإلى العديد من أمراض الحساسية المختلفة وغير ذلك...وأغلب هذه الفيروسات والبكتريا والطفيليات التي تتكدس في جسم الخنزير لا يمكن القضاء عليها بمجرد طهو لحمه، أو إدخاله في النار." ونسبة الكولسترول في لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما في البقر، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين وبخاصة شرايين القلب وتسبب ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين، وكذلك فإن نسبة الذبحة الصدرية وتصلب الشرايين في أوروبا تعادل خمسة أضعاف النسبة في العالم العربي والإسلامي بسبب كثرة تناول لحم الخنزير، وهنا ندرك فضل الإسلام في تحريم أكل لحم الخنزير"[٢]، وربما كان التحريم لحكم أُخرى، لا تزال مجهولة لنا.

---

(١) الإسلام والوقاية من الأمراض (ص: ٤٥).

(٢) المرجع السابق (ص:٤٦).

رابعا: تحريم أكل ما أهل لغير الله به

المفهوم من قول الله تعالى: **(وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ)** أي ما ذبح لغير الله. وقد اثبت عشرون من كبار علماء الطب، والطب البيطري، والصيدلة، والعلوم في الجامعات، أن التسمية والتكبير عند ذبح الحيوان تعمل عملية تعقيم كامل لبدنه، وتطهره من الدماء والجراثيم، بعكس الذبائح التي لا يذكر اسم الله عليها.

فالتذكية بمعنى إراقة الدم المسفوح تخلص بدن الحيوان من معظم هذا السائل القابل للتعفن، ومن معظم ما به من جراثيم(١)، "وإذا كانت المحرمات السابقة قد حرمت لخبث ذاتها، فما ذكر اسم غير الله عليه، حُرّم، لخبثه معنويًا: فقد ذكر عليه اسم غير خالقه المنعم به عند ذبحه، ولولا ذلك لكان حلالًا، وسُمي الذكر إهلالًا: لما فيه من الإهلال أي رفع الصوت، والمراد بغير الله: ما يشمل الأصنام وغيرها، وقد شمل الحكم: ذبيحة الوثني، والمجوسي، وكذا ذبيحة المعطل الذي لا يعتقد في الله – تعالى – فهي حرام كذبيحة من ذكر اسم غير الله عليها"(٢)..

فهذه الآيات: تدل على أن كل خبيث أو مضر يحرم تناوله واستعماله، وكل طيب نافع فهو مباح. وما حرمه علينا من المطعومات، لأسباب تقتضيها.

"**وحكمة التحريم في الموت بالمرض:** ظاهرة، وفي الموت بسواه: الاحتياط للسلامة، فإن البهيمة التي تموت غريقة أو نحو ذلك، قد تكون مريضة وصاحبها لا يعلم مرضها، وإنما خلت الذبائح من الحيوانات التي يحل ذبحها، لأن الدم الذي يخرج منها بالذبح، يخرج معه ما عسى أن يكون فيها من أسباب الأمراض. أَمارةٌ على السلامة والحيوية في الذبيحة.

---

(١) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (ج١/ص٥٣٧-٥٤٣) بتصرف.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٢٦٢/١)، (٢٦٣/١) بتصرف.

ويُستثنى من تحريم الميتة: السمك والجراد، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ (ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ"(١).

واستدل بالآيات: على نجاسة الدم المسفوح؛ لأنه يشتمل على جراثيم الأمراض، ويتعرض للفساد بسرعة.

ومعني قوله: **{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}:**

في هذا الجزء من الآية، إباحة هذه المحرمات للمضطر، وهو من أُكره على تناولها ليعيش.

والمضطر هنا، هو الجائع جوعًا مهلكًا، ولا يجد غير تلك المحرمات، ومثله من كان في يد عدُوٍّ، أكرهه على أكل لحم الخنزير وغيره.

وقد استفيد من الآية: أنه لا إثم على المضطر في الأكل مما ذكر في الآية. أما وجوب الأكل منها لحفظ حياته فلا يُؤخذ منها، بل من قوله تعالى: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**(٢).

وليس المراد من الآية حصر التحريم فيما ذكر، فإن المحرمات أوسع منها، ولكن المقصود رد اعتقاد المشركين أن الأكل منها حلال.

وختمت الآيات بقوله: **{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**: للإيذان بأن الحرمة باقية، إلا أنه تعالى، أسقط الإثم عن المضطر وغفر له، لاضطراره"(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة برقم- ٥٧٢٣ – مسند عبد الله بن عمر (ﷺ) مسند المكثرين من الصحابة وقال عنه المحقق: حديث حسن (١٦/١٠)، وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم ٣٣١٤ – باب الكبد والطحال –كتاب الأطعمة (١١٠٢/٢).

(٢) [البقرة: ١٩٥].

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء (٢٦٢/١)، (٢٦٣/١).

من هنا قد تبين لنا بعض الحكم التي اطلع الله عليها بعض عباده، من حكمة تحريم أكل كل من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به.

المحرمات من الأشربة

"كما أن الله (ﷻ) حرم عددًا من الأطعمة، حرم عددا من الأشربة؛ وذلك؛ لأنها مؤثرة تأثيراً مباشراً على صحة الإنسان، بل، وهي مؤدية إلي تلف الأبدان، ومن ذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ومن الأشربة الخمر والمسكرات يقول تعالي: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}(١)؛ لذلك حرم الإسلام تعاطي الخمر، وأقام الحد على شاربه زجراً للغير من الوقوع فيه. يقول تعالي: {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**}(٢).

ومن شدة اعتناء الإسلام بحفظ العقول حرمت الشريعة قربان كل مسكر قليله وكثيره حرام، وحسما لهذا الضرر المفرط، منعت الشريعة كل السبل المؤدية إليه، وأبعد من هذا، فإن لعنة الله تلحق كل من يساهم في تسهيل تناولها وتوفيرها؛ لذا قال رسولُ الله (ﷺ): "لَعَن الله الخمرَ وشاربَها وساقيَها، وبائعَها ومبتاعَها، وعاصِرها ومعتصِرها، وحامِلَها والمحمولَةَ إليه"(٣).

---

(١) [المائدة: ٩٠، ٩١].

(٢) [البقرة: ٢١٩].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ت الأرناؤوط كتاب الأشربة باب العنب يُعصَر للخمر برقم ٣٦٧٤ – وقال المحقق عنه شعَيب الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده (٥١٧/٥).

والعقل هو أكبر مؤثر في حفظ النفوس والأبدان؛ إذ الخمر تؤثر على الصحة عموما، وعلي العقل خصوصا.

قال رسول الله (ﷺ) «كُلُّ مُسْكِرٍ، حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»(١).

الخمر رجس من عمل الشيطان يقول تعالي: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}**(٢).

ومعني قوله: "**قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ**" أي: "عظيم؛ وذلك لما فيهما من المساوي المنابذة لمحاسن الشرع. من الكذب والشتم وزوال العقل واستحلال مال الغير "**وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ**" دنيوية من اللذة والطرب والتجارة في الخمر. وإصابة المال بلا كدّ في الميسر.

ومعني قوله تعالى: "**وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما**" أي: المفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه. أي: لا توازي مضرّته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين. وفي هذا من التنفير عنها ما لا يخفى. ولهذا؛ كانت هذه الآية ممهّدة لتحريم الخمر على البتات، ولم تكن مصرحة بل معرّضة ولهذا، قال عمر لمّا قرئت عليه: اللهمّ بيّن لنا في الخمر بيانا شافيا! حتى نزل التصريح بتحريمها في سورة المائدة:

يقول تعالي: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة برقم –٥٦٤٨ – مسند عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) مسند المكثرين من الصحابة وقال عنه المحقق: حديث قوي (٩/٤٦٤) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم– ٣٣٩٢ – باب ما أسكر كثيره، فقليله حرام – كتاب الأشربة (٢/١١٢٤).

(٢) [البقرة: ٢١٩].

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}[1].

ويقول القاسمي في تفسيره: وممّا قرره خمسون طبيبا منهم هذه الجمل:

- إنّ المسكرات لا تروي الظمأ بل تزيده.
- إنها لا تفيد شيئا في قضاء الأعمال.
- إنها توقف النمو العقليّ والجسديّ في الأولاد.
- إنها تضعف قوة الإرادة فتفضي إلى ارتكاب الموبقات، وتجرّ إلى الفقر والشقاء
- إنها تعدّ للأمراض المعدية.
- إنها تضرّ في ذات الرئة والحمّى التيفودية أكثر مما تنفع.
- إنها تقرّب النهاية المحزنة في الأمراض التي تنتهي بالموت. وتطيل مدّة الشفاء في الأمراض التي تنتهي بالصحة.
- إنها تغير مادة القلب والأوعية الدموية.
- إنها كثيرا ما تسبب التهاب الأعصاب، والآلام المبرّحة.
- إنّ المقدار العظيم الذي يتناوله أصحاب الأعمال الجسدية من أشربتها هو سبب شقائهم وفقرهم وذهاب صحّتهم.
- إنّ الامتناع عنها مما يفضي إلى صحة وسعادة الجنس البشريّ"[2].

"يشيع شاربو الخمر أن لها فوائد ومزايا، ويؤكدون أن لها قيمة غذائية ومفيدة للجسم، وقد دلت الأبحاث العلمية على ضرر الاعتماد على الخمر كوسيلة غذائية إذ ثبت أنها تضر أجهزة الجسم للإنسان. ويؤثر الخمر علي

---

(١) [المائدة: ٩٠، ٩١].

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ــ (١١٣/٢).

أعصاب القلب فيؤدي إلي سرعة دقاته مما يؤدي إلي ضعف القلب نتيجة إنهاك قوته بسبب ما تضطره إليه من زيادة العمل. وتؤثر المشروبات الكحولية أيضًا تأثيراً خطيراً في الكليتين فقد ثبت أنه عندما يمر الكحول منها مع الدم يحدث تهيجاً والتهابا. فإذا توالي هذا التهييج والالتهاب فإن نسيج الكليتين يصاب بالتلف، فقد دلت التجارب والإحصائيات على كثرة الإصابة بالتهاب الكلي نتيجة إدمان تعاطي المسكرات.

وهناك فكرة خاطئة بين عامة الناس أن الخمر يزيد من قوة الشخص وقدرته وتهبه الشجاعة والجرأة فإذا به يعمل الأعمال ما لا يستطيع أن يعملها بدونه.

والحقيقة أنه يعمل ذلك هو وكأنه فاقد لشعوره، وما تلك القدرة إلا وهم، وهذه القوة والشجاعة إنما هي العقل الذاهب والرأس الدائر. وهي في الحقيقة أقل من طاقته الحقيقية الواعية.

وأيضًا: للخمر مضار غير هذا فهو يضعف قوة مقاومة المناعة في الجسم، وشارب الخمر كما دلت التجارب الكثيرة أنه أكثر تعرضا للأمراض من غيره، وأكثر استعدادا للتأثر من تقلبات الجو من غيره ومقاومتهم للأمراض ضعيفة مما تسهل معه إصابتهم بكثير من الأمراض(١).

عَنْ دَيْلَمٍ الْحِمْيَرِيِّ،(٢) قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضٍ بَارِدَةٍ نُعَالِجُ بِهَا عَمَلًا شَدِيدًا، وَإِنَّا نَتَّخِذُ شَرَابًا مِنْ هَذَا الْقَمْحِ، نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى أَعْمَالِنَا وَعَلَى بَرْدِ بِلَادِنَا، قَالَ: «هَلْ يُسْكِرُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَنِبُوهُ»

(١) الإسلام والوقاية من الأمراض تأليف د/عز الدين فراج (٦٧:٦٩).

(٢) ديلم الحميري الجيشاني، هو ديلم بن أبي ديلم. ويقَالَ: ديلم بن فيروز وهو من ولد حمير بن سبأ. له صحبة. سكن مصر ولم يرو عنه فيما أعلم غير حديث واحد في الأشربة، وقال البخاري: في إسناده نظر. التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (٢٤٨/٣).

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «هَلْ يُسْكِرُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَنِبُوهُ» قُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ غَيْرُ تَارِكِيهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَتْرُكُوهُ فَاقْتُلُوهُمْ»(١).

ويقول المفكر الأوروبي: "هنري دي كاسترى" في كتابه "من الشهوات ما نهي النبي (ﷺ) عنه وأمر مجاهدة النفس فيه. فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله، وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي، فكان من وراء ذلك، أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات، وهي الداهية التي تفج اليوم أممًا كثيرة من المسيحيين وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الإنساني، وظهور مذهب الفوضويين، مما تجهله الأمم الإسلامية.

هكذا جذب الإسلام قسماً عظيمًا من العالم، بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس، بتصور الذات الإلهية علي صفات فوق صفات البشر، تذكرها خمس صلوات في كل يوم، وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر، حيث أتاح للناس شيئاً مما يشتهون"(٢).

من هذا يتبين لنا أهمية أن يسير المسلم علي نظام الإسلام في التربية الغذائية فيأكل من الطيبات التي أحلها الله له ويشكر نعمة الله عليه ويبتعد عن الأشياء التي حرمها عليه في الطعام والشراب، وأن يحافظ علي العادات الغذائية السليمة، فإنه بذلك يكون صحيح الجسم قوي البنية، ويستطيع أن يؤدي رسالته في هذه الحياة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ط الرسالة برقم ١٨٠٣٥ – باب: حديث الديلمي الحميري –مسند الشاميين (٥٦٩/٢٩) وقال عنه المحقق: حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات غير محمد بن إسحاق، فهو حسن الحديث، لكنه مدلس أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم ٣٦٨٣ – باب النهي عن المسكر – كتاب الأشربة (٣٢٨/٣).

(٢) الإسلام خواطر وسوانح تأليف الكونت هنري دي كاستري ترجمه من اللغة الفرنسية: أحمد فتحي زغلول قدم له وعلق عليه د. محمود النجيري الناشر: مكتبة النافذة الطبعة الأولي /٢٠٠٨ دار طيبة للطباعة –الجيزة ص (١٤٠-١٤١).

﴿ المبحث الثالث ﴾
وقاية القرآن لصحة المجتمع وحماية البيئة من الأمراض والآفات

﴿ المطلب الأول ﴾
منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان

الإسلام منهج حياة متكامل يتعامل مع الإنسان روحًا ونفسًا وعقلاً وجسدًا، وما كان متصورًا منه أن يتغافل عن جزء مهم من تكوين البشر، ألا وهو الغريزة الجنسية، فشرع لها من الأحكام ما يحفظ على المجتمعات تماسكها، ويحفظ على الأمم حياتها واستمرارها؛ لذلك اهتم الإسلام أيما اهتمام بما يتصل بالغريزة الجنسية، حيث جعلها الإسلام جزءًا من التربية العامة والمهمة في ذات الوقت بالنسبة للشباب من الجنسين، وهي ترتبط بالثقافة الاجتماعية السائدة، والقيم الفكرية والتربوية والدينية في المجتمع، من خلال:

إكساب المعلومات وتشكيل المواقف والأفكار حول الجنس بما يلائم المرحلة السنية، وهي في حد ذاتها أمر لابد منه؛ لأنها تتعلق بأمر فطري وبحاجة عضوية ونفسية، والإنسان إذا ما وصل إلى مرحلة معينة سيبدأ البحث فيها – سواء علم من معه أو لم يعلموا.

ولكن الذي ينبغي أن يقال هو أن مسئولية المجتمع بداية من الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع ككل هي في وصول تلك الثقافة الهامة – والخطيرة في نفس الوقت – بطريقة مدروسة ومرتبة يراعى فيها حال الشاب أو الشابة بحيث يتدرج فيها تدرجًا يسمح له بالمعرفة والإدراك مع الحفاظ عليه من التشتت والانحراف، والإسلام يسمح بهذا، ويعرضه في أنقى ثوب وأطهره،

وهو موجود في كتب العلم وأبواب الفقه التي يتعلمها أبناء المسلمين في سن مبكرة جدًا، ويلاحظ في كتب أهل العلم التمسك بآداب القرآن الكريم والسنة المطهرة من محافظة على الألفاظ والتلميح دون التصريح – قدر الإمكان – واستعمال عبارات غاية في الأدب ومؤدية للغرض في نفس الوقت، كقوله تعالي: {**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**}(١) ، وقوله تعالى: {**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**}(٢)، وما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ) قَالَ: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله (ﷺ) فقال: هَلَكْتُ قَالَ: «وَمَا أَهْلَكَكَ؟»، قَالَ: حَوَّلْتُ رَحْلِيَ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) هَذِهِ الْآيَةَ {**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**} [البقرة: ٢٢٣] يَقُولُ: «أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ وَاتَّقِ الدُّبُرَ وَالْحَيْضَةَ»(٣).

ومن التدابير الوقائية الشرعية للوقاية والعفة **أولاً:** أمر النساء بعدم الخضوع بالقول كي لا يطمع فيهن الفساق، قال تعالى: {**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي**

---

(١) [النساء: ٤٣].

(٢) [البقرة: ٢٢٣].

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ت شاكر أبواب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ) باب: ومن سورة البقرة برقم ٢٩٨٠ – وقال عنه هذا حديث حسن غريب ت شاكر (٢١٦/٥)، وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى كتاب عشرة النساء باب : تَأْوِيلُ قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**} [البقرة: ٢٢٣] برقم – ٨٩٢٨ – (١٨٩/٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه –كتاب النكاح –باب النهي عن إتيان النساء في أعجازهن ذكر الخبر المدحض قول من زعم إباحة إتيان المرء أهله في غير موضع الحرث برقم ٤٢٠٢ – وقال عنه المحقق : إسناده حسن (٥١٦/٩)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده – ومن مسند بني هاشم – مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي (ﷺ) برقم ٢٧٠٣ – (٤٣٤/٤).

فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}[1]. إن هذا الخطاب لأمهات المؤمنين فحري بنا أن نقتدي بهن لعفتهن.

ثانياً: تحريم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، قال الله- تعالى- عن مريم (عليها السلام): عندما رأت بشراً قالت: **{قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا}**[2]، فأثبتت بذلك عفتها وكمال طهارتها. وقال رسول الله (ﷺ): «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»[3]، بل إن الإسلام قد أكد على هذا المبدأ في حق قريب الزوج أو الزوجة من غير المحارم، من حيث إن كثيرًا من الناس يتساهلون فيه، كما في حال خلوة أخي الزوج بزوجة أخيه، أو ابن عم الزوجة بها، فقال رسول الله (ﷺ): «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ»[4].

فمعنى قوله: «الحَمُو الموت»، أن خلوة الحَمُ معها، أشد من خلوة غيره من البُعداء، لأنه ربما حَسَّن لها أشياء، وحملها على أمور تَثْقُل على الزوج، من التماس ما ليس في وسعه، أو سوء عشرة أو غير ذلك، فلهذا قال: هو الموت، ولأن الزوج قد لا يُؤثِر أن يطلع الحَمُ على باطن حاله، وإذا رأى زوجته ربما أفشت إليه ذلك[5]. وقد يكون المعني لقاؤه الهلاك؛ لأن دخوله أخطر من دخول

---

(١) [الأحزاب: ٣٢].

(٢) [مريم: ١٨].

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحج – باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره برقم (١٣٤١) (٩٧٨/٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب النكاح–باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة برقم ٥٢٣٢ – (٣٧/٧).

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول المؤلف: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير ((٦٥٧/٦).

الأجنبي، وأقرب إلى وقوع الجريمة؛ لأن الناس يتساهلون بخلطة الرجل بزوجة أخيه والخلوة بها، فيدخل بدون نكير فيكون الشر منه أكثر والفتنة به أمكن(١).

ثالثاً: الأمر بفرض الستر على كل جسدها بلباس لا يشف ولا يصف ما عدا الوجه والكفين، عن كل الرجال ما عدا المحارم والأزواج، يقول تعالي: **{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**(٢).

وعن عائشة (رضي الله عنها): "أن أسماءَ بنتَ أبي بكْرٍ دَخَلَت على رسولِ الله (ﷺ)- وعليها ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فأعْرَضَ عنها رسولُ الله (ﷺ)، وقال: "يا أسماءُ. إن المرأةَ إذا بَلَغَت المَحِيضَ لم يصلُحْ أن يُرى مِنَها إلا هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفَّيْه"(٣).

رابعاً: نهي المرأة عن التبرج، والتكسر، ومشية السوء، والسير في الطرقات متعطرة، حتى لا يستشرفها الرجال، أو تتعرض لأذى الفساق كما قال تعالى: **{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}**(٤).

خامساً: الأمر بغض البصر لكل من الرجل والمرأة، فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس، قال (ﷺ): «إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣٣١/٩).

(٢) [النور: ٣١].

(٣) رواه أبو داود في سننه ت الأرناؤوط - كتاب اللّباس باب فيما تُبدي المرأةُ من زِينَتِها - برقم- ٤١٠٤ - وقال عنه المحقق: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف. (١٩٩/٦).

(٤) [الأحزاب: ٥٩].

مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»[1]، والنظرة الأولي لك والثانية عليك، والعين مفتاح القلب، والنظرة قد تؤدي إلي الفتنة؛ لهذا وجه الله أمره إلي المؤمنين والمؤمنات جميعًا بالغض من الأبصار مقترنا بأمره بحفظ الفرج يقول تعالى: {**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**}[2].

وقد جعل الرسول (ﷺ) غض البصر من حق الطريق لكل من يجلس في الطرقات، وروي عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»[3]. بمعني لا تعاود النظر مرة ثانية.

والإسلام يعالج المشكلات علاجًا جذريًا، حيث يمنع أساسًا مسببات المرض بتحريمه الزنا والشذوذ، وكل ما يؤدي إليهما، الأمر الذي يمثل الحماية الحقيقية من الإصابة بالأمراض الجنسية. والمنهج الإسلامي يعمل على تجفيف منابع المرض، ومعالجة مصادره، ومحاصرة شروره، بينما سياسات الأمم الأخرى

---

(١) رواه للطبراني في المعجم الكبير –باب ومن مسند عبد الله بن مسعود (ﷺ) برقم ١٠٣٦٢ – (١٧٣/١٠) وقال عنه الهيثمي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد –رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف. (٦٣/٨).

(٢) [النور: ٣٠، ٣١].

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه–كتاب الآداب– باب نظر الفجاءة برقم ٤٥ – (١٦٩٩/٣) وقد شرح المحقق محمد فؤاد عبد الباقي: (نظر الفجاءة) ويقال بفتح الفاء وإسكان الجيم والقصر الفجأة لغتان هي البغتة ومعنى نظر الفجأة أن يقع نظره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك، فيجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم.

تحافظ على منابع المرض – بالدفاع عما يسمى حقوق الشواذ والحريات الجنسية، والمحافظة على حرية الأفراد.

من حقائق الإسلام أنه راعى الغرائز الإنسانية، وفتح لها بابًا وحيدًا ومهذبًا لتفريغ طاقاتها والتمتع بلذائذها. ومن أهم هذه الغرائز: الشهوة الجنسية، لذلك حدد لها إطارًا شريفًا عفيفًا عن طريق الارتباط بين الرجل والمرأة بميثاق غليظ محوط بالحب والود والرحمة، معترفًا بأن ذلك الارتباط ضرورة من ضرورات الحياة، حيث يقول سبحانه: **{هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}**(١).

ولا سبيل إلى تكوين أسرة إلا من خلال الزواج، والأديان السماوية كلها مجمعة علي تحريم الزنا، والإسلام شدد النهي والتحذير منه؛ فقال تعالي: **{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}**(٢). وقوله: **{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**(٣). لما أنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب، والجناية علي النسل، وانحلال الأسر، وانتشار الأمراض وطغيان الشهوات وانهيار الأخلاق.

وقد حذر المصطفى (ﷺ) من الأضرار الصحية والأوبئة العامة التي تترتب على شيوع الفاحشة في أي مجتمع فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا،

(١) [البقرة: ١٨٧].
(٢) [الإسراء: ٣٢].
(٣) [النور: ٢، ٣].

إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا»[1]

ويقول رسول الله (ﷺ) "مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَى وَالرِّبَا إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ (ﷻ)"[2].

كما حرم الإسلام الزنا وحرم الوسائل المفضية إليه، حرم كذلك الشذوذ الجنسي الذي يعرف بعمل قوم لوط، واعتبر القرآن الكريم الشذوذ فاحشة لم يسبق قوم لوط (عليه السلام) أحد فيها إذ قال نبيهم (عليه السلام): **{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}** [3]. وتكرر من نبيهم (عليه السلام) تبكيتهم على هذا الفعل الشنيع **{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ. قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ. قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ. رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ. فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ. ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}**[4]،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه – كتاب الفتن – باب العقوبات برقم – ٤٠١٩ – وقال عنه المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد هذا حديث صالح للعمل به. (١٣٣٢/٢). أخرجه ابن ماجه في سننه ت الأرناؤوط – أبواب الفتن – باب العقوبات برقم –٤٠١٩ – وقال عنه المحقق: حسن لغيره (١٥٠/٥). ورواه ابن حبان في صحيحه وقال عنه: وهو حديث صحيح (٢٥٩/١٠)، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين – كتاب الفتن والملاحم–أما حديث أبي عوانة وقال عنه: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» (٥٨٢/٤).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه – كتاب الحدود– باب ذكر استحقاق القوم عقاب الله (ﷻ) عند ظهور الزنى والربا فيهم– برقم ٤٤١٠ – وقال عنه المحقق: حديث حسن لغيره (٢٥٨/١٠).

(٣) [الأعراف: ٨٠، ٨١].

(٤) [الشعراء: ١٦٥ – ١٧٤].

وحين أصروا على فعلتهم واعتبروا لوطًا (عليه السلام) ومن معه من المتطهرين، واستهزئوا بالإنذارات الإلهية، أمر الله تعالى نبيه (عليه السلام) أن يسري بقطع من الليل؛ لأن موعدهم الصبح، ثم كانت العقوبة **{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}**(١).

وهكذا ينذر القرآن الكريم كل من أتى فعل قوم لوط أن يخسف الله تعالى بهم الأرض، وأن يمطرهم بحجارة من سجيل منضود، ويصفهم بأنهم ظالمون، وما هذا الجزاء من الظالمين ببعيد. وما كان هذا التشديد الذي قد يبدو قاسياً إلا تطهيرا للمجتمع الإسلامي، من هذه الجراثيم الفاسدة الضارة، التي لا يتولد منها إلا الهلاك والإهلاك. ونحن نعتز بديننا ونظهر إعجازه التشريعي وبهذا نضمن القضاء على معظم المنابع لهذا المرض الخطير.

وحرصًا على شيوع خلق الطهارة والعفة في الأمة حرم الإسلام التشجيع على ارتكاب الفواحش، ونشر ما يثير الغرائز ويجرئ على الحرام، فقال سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**(٢)، وقال تعالى: **{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}**(٣) بل جعل الإسلام من خلق الحياء سياجًا حصيناً يمنع المسلم من الخوض في الألفاظ المكشوفة، والعبارات التي تصف مفاتن المرأة، وحذر النساء اللاتي يكشفن بعض جسدهن إظهارا لجمالها ونحوه، أو تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها من سوء المصير، حيث قال (ﷺ): «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا

(١) [هود: ٨٢، ٨٣].
(٢) [النور: ١٩].
(٣) [الأنعام: ١٥١].

النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(١).

"فقد خطط الإسلام للوقاية من الأمراض الجنسية تخطيطا منسجما سليما يسهل للشباب والشابات الاحتفاظ بالعفة والبعد عن الفواحش، فالعبادات المفروضة في الإسلام، والتوجيه الخلقي فيه يزيدان التقوى والرغبة بطاعة الله تعالي، ومنها البعد عن الفواحش، وكذلك عدم الاختلاط والترغيب في الزواج، والتمسك بالأخلاق والبعد عن القذف والغيبة والنميمة كل ذلك يكرس جهد الجنسين إلي واجباتهما ويبعدهما عن الرذيلة، ويصون الأسر المسلمة من التصدع"(٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه –كتاب اللباس والزينة–باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات برقم –١٢٥ – (١٦٨٠/٣).

(٢) الإسلام والوقاية من الأمراض (ص:٦٣).

المطلب الثاني
النهي عن دخول الأرض الموبوءة أو الخروج منها

الطاعون من حيث اللغة: الموت من الوباء[١] وقيل: الوباء هو الطّاعون، وهو أيضاً كلّ مَرَض عامّ، وأرضٌ وَبِئة، إذا كثر مَرْضُها[٢].

وقيل: هو كل مرض عام يقع لكثير من الناس نوعا واحدا، بخلاف سائر الأوقات، فإن أمراضهم فيها مختلفة. فقالوا: كل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا[٣].

وفي النهي عن الخروج من الأرض الموبوءة ومنع الدخول إليها وقاية من الأمراض، وهو إجراء وقائي له شواهده، وأدلته في شريعة الإسلام، ومما يعتمد في ذلك من عموم الأدلة قوله تعالي: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**[٤]، وقوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}**[٥]، وقوله: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ}**[٦].

---

(١) مختار الصحاح المؤلف: عبد القادر الحنفي الرازي (ص: ١٩٠).

(٢) كتاب العين المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي (٤١٨/٨).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥٨/١٦).

(٤) [البقرة: ١٩٥].

(٥) [النساء: ٧١].

(٦) [البقرة: ٢٤٣]. روي في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: "كانوا أربعة آلاف، خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضا ليس بها موت. فقال لهم الله: موتوا فماتوا فمر بهم نبي، فسأل الله أن يحييهم فأحياهم، فهم الذين قال الله (عز وجل): **{وهم ألوف حذر الموت}** [البقرة: ٢٤٣] أخرجه الحاكم في مستدركه برقم ٣١١٣ – وقال عنه : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» (٣٠٩/٢) "والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، "وهذا يدل على أن الله تعالى كره فرارهم من الطاعون وهو نظير قوله تعالى: **{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ**

وقَالَ الْعلمَاء هُوَ قريب الْمَعْنى من قَوْله (ﷺ): «أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا،"(١). وقَالَ بَعضهم النَّهْي عَن الْفِرَار من الطَّاعُون تعبدي لَا يعقل مَعْنَاهُ؛ لِأَن الْفِرَار من المهالك مَأْمُور بِهِ وَقد نهي عَن هَذَا، فَهُوَ لسر فِيهِ لَا نعلم حَقِيقَته(٢).

وعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) **قالت:** سألت رسول الله (ﷺ) عن الطاعون، فأخبرني "أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ"(٣).

وقوله (ﷺ): "الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ"(٤).

مُشَيَّدَةٍ } [النساء: ٧٨] وقوله تعالى: {**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**} [الجمعة: ٨] وقوله: {**قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ**} [الأحزاب: ١٦] وقوله تعالى: {**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**} [الأعراف: ٣٤] وإذا كانت الآجال موقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تأخير عما قدرها الله عليه فالفرار من الطاعون عدول عن مقتضى ذلك" أحكام القرآن للجصاص ت قمحاوي (١٦٥/٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب –كان النبي (ﷺ) إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس – كتاب الجهاد والسير برقم –٢٩٦٦ – (٥١/٤).

(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (٢٠٦/٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب حديث الغار كتاب أحاديث الأنبياء برقم – ٣٤٧٤ – (١٧٥/٤).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب حديث الغار كتاب أحاديث الأنبياء برقم–٣٤٧٣–(١٧٥/٤).

لقد جمع النبي (ﷺ) للأمة – في نهيه عن الدخولِ إلى الأرض الموبوءة، ونهيه عن الخروج منها – كمالَ التحرُّز من الطاعون، فمنع دخول غير الموبوئين أرض الوباء، منعًا لإعانة الإنسان على نفسه بموافاة الطاعون في محل سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، ومَنَع المتعرضين للوباء من الخروج، لحملهم على الثقة بقدر الله، والصبر على قضائه، وطلبًا لثوابه في تحمّل ذلك، ونيل شهادة الدنيا بالموت بسببه، لقوله (ﷺ): «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[1]، "ففي الأول تأديب وتعليم، وفي الثاني تفويض وتسليم، كما أن في ذلك حكمة طبية بالغة، حيث إنه لا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر بذلك المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما"[2].

واستمر على هذا عمل الصحابة (رضي الله عنهم) في الوقاية وتوجيه المصاب بالمعدي من الأمراض إلي اعتزال الناس، فقد روي " عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ (رضي الله عنه)، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ [3]، لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب: الشهادة سبع سوى القتل برقم ٢٨٣٠ – (٢٤/٤).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٣٣).

(٣) بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده غين معجمة: مدينة بالشام، افتتحها أبو عبيدة بن الجرّاح، هي واليرموك والجابية والرّمادة. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (٧٣٥/٣).

وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ – فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ"[1].

فإنه رجع سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولم يقدم عليه؛ حين قدم الشام؛ وذلك لدفع الأوهام المشوشة لنفس الإنسان، وتأول من فر أنه لم ينه عن الدخول أو الخروج مخافة أن يصيبه غير المقدر، ولكن مخافة الفتنة أن يظنوا أن هلاك القادم إنما حصل بقدومه، وسلامة الفار إنما كانت بفراره، وهذا من نحو النهي عن الطيرة[2].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب ما يذكر في الطاعون كتاب الطب برقم -٥٧٢٩-(١٣٠/٧).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥٨/١٦).

"ونهيه (ﷺ) عن الدخول في الأرض التي بها الطاعون ليس من باب التطير والتشاؤم كما قد يتوهم، وإنما هو لما في ذلك من الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، كمن أراد دخول دار فرأى بها حريقًا تعذر إطفاؤه، فعدل عن دخولها لئلا يصيبه"(١).

يقول النبي (ﷺ): «لاَ عَدْوَى وَلاَ صَفَرَ، وَلاَ هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُ الإِبِلِ، تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيُخَالِطُهَا البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ»، وقوله (ﷺ): «لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(٢).

"المتأمل للأحاديث النبوية يجد سر ذلك الإعجاز الذي حير الأطباء ففي هذا الحديث يثبت الرسول (ﷺ) أن المرض لا ينتقل بذاته، جاء ذلك في جوابه (ﷺ) على الأعرابي بقوله: «فمن أعدى الأول» إشارة إلى أن العدوى لا تنتقل بذاتها، وإنما بإرادة الله سبحانه.

فالكائن الدقيق من الفيروسات والميكروبات والفطريات والحيوانات ذات الخلية الواحدة مخلوقات من مخلوقات الله يسيرها سبحانه كيف شاء، يصيب بها من يشاء ويسلم منها من شاء سبحانه.

والإسلام لا ينفي العدوى، وفي ذلك يقول الإمام الحافظ بن حجر: "ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم، لا على طريق العدوى بل على طريق التأثر بالرائحة؛ لأنها تسقم من واظب اشتمامها، ومن ذلك قوله (ﷺ) «لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(٣).

---

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٢٣٤/٨).

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه باب لا هامة- كتاب الطب برقم (٥٧٧٠-٥٧٧١) (١٣٨/٧).

(٣) سبق تخريجه.

لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير، فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها، وصل إليها بالماء الذي يسيل منه، وأما قوله: (لا عدوى) فله معنى آخر: وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه؛ لأن فيه نوعا من الفرار من قدر الله.

أو أن المراد بنفي العدوى أن شيئا لا يعدى بطبعه نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي (ﷺ) اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم [1]؛ **ليبين** لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منه؛ وليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل، الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا وإن شاء أبقاها فأثرت"[2].

---

(١) روي عن أحد الصحابة (ﷺ): كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ (ﷺ) «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب السلام باب اجتناب المجذوم ونحوه برقم- ١٢٦ - (١٧٥٢/٤).والمعني فرجع، وهو في ذلك يؤكد عمليًا ما قاله من قبل: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وهو في هذا الحديث يسقط خرافة العقيدة الجاهلية حول العدوى والتشاؤم والبومة وشهر صفر .. وأن هذه الأشياء وإن كانت موجودة حقيقة؛ لكنها لا تقدم ولا تؤخر ولا تضر ولا تنفع ولا تؤثر بنفسها، وأن الأمر بيد الله وحده.. أما عن انتقال المرض فقد خلق الله له أسبابًا وطرقًا حث النبي (ﷺ) على قطعها والسلامة منها.. فالجذام قد ينتقل عن طريق اللمس أو استخدام أدوات المريض؛ ولذلك أمر (ﷺ) بالفرار من المجذوم.. وأما الطاعون وهو مرض معدي وفتاك فقد شدد (ﷺ) في أمره حتى أوجب أن يكون هناك حجر. ينظر في: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة المؤلف: أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني (١٧٩/٤).

(٢) فتح الباري – ابن حجر (١٦٠/١٠).

فقي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التَّسليم لقَضاء الله، ومنْع القُدوم والخروج على بلَد الطَّاعون؛ فأما الخروج لعارضٍ فلا بأْسَ به.

وفي قول النبي (ﷺ): إشارة إلى أن الرجل لا يجوز له أن يوقِعَ نفسه في موضع يكون فيه الهلاك. قوله: "فلا تخرجوا فرارًا منه"؛ يعني: إذا وقع الطاعون وأنتم فيه فاصبروا وتوكلوا ولا تفروا، هذا إشارة إلى أن العذاب إذا نزل بقوم وأنت فيهم، فاصبر ولا تهرب من بينهم، فإن العذاب لا يدفَعُهُ الهرب، وإنما يدفعه الاستغفار والتوبة؛ ليظن كل واحد من أولئك، أن العذاب نزل على هؤلاء بشؤم ذنبه، وليستغفِر الله وليَتُبْ إليه[1].

وفي النهي عن الخروج من الأرض الموبوءة، أو الدخول إليها يعرف هذا الإجراء في الطب الحديث "بالحجر الصحي"، ويعد هذا من طرق الوقاية التي سبق الإسلام إليها بمئات السنين.

وهذا يعتبر تأسيسا صريحا لمشروعية الحجر الصحي إذ منح ثوابا عظيما يضاهي ثواب الشهادة إذا صبر واحتسب ومكث في بلده؛ فالوباء قد يكون رحمة وقد يكون عذابا؛ وبوضع هذا الثواب والأجر تكون الشريعة الإسلامية قد راعت مصلحة الفرد والمجتمع معا، بإثابة الصابر ووقاية المجتمع، ولما كانت النفوس البشرية بطبعها ميالة إلي النجاة بنفسها دون تفكير غلظ الشرع عقوبة من يفر من بلاد الوباء لكيلا ينقل المرض إلي غيره؛ إذ اعتبر من يفر من تلك البلاد كالفار من الزحف. يقول الرسول (ﷺ) قَالَ: «الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ، كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ، وَالصَّابِرُ فِيهِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ»[2].

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (٢/٤٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده -مسند المكثرين من الصحابة - مسند جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) برقم ١٤٨٧٥ - (٢٣/١٥٩).

ونحن نشاهد اليوم ما تجده الدول من مشكلات في فرض الحجر الصحي، وعدم امتثال لقرارات المكث في الحجر الصحي فإذا التزمنا بكلام الله تعالي، وبسنة الرسول (ﷺ) عن عقيدة وإيمان بأهمية الأخذ بالأسباب، فإنهم سوف يستجيبون طواعية دون إكراه، وينعمون في عزلتهم بعافيتهم وقلوبهم في سكينة وطمأنينة بالذكر والاستغفار والتقرب إلي الله. وعلي هذا كان العمل في زمن الرسول (ﷺ) وبهذا يكون النبي (ﷺ) ضرب المثل الأعلى في الوقاية من الأمراض بالتوجيه العملي.

"تركيز الإسلام علي صحة الفرد، يهيئ لنا مجتمعا قويا سليما، وبيئة نظيفة ولذلك وضع الإسلام حوافز للتنافس في الحفاظ على هذه البيئة النظيفة السليمة وهذه الأمور تتمثل في:

- **نظافة المساكن والأفنية:** ولا يخفي دورها في نشر الأمراض إذا أهملت لقوله (ﷺ) «طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ، فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا تُطَهِّرُ أَفْنِيَتَهَا»[(١)]. جمع فناء وهو المتسع أمام الدار، ونبه بالأمر بطهارة الأفنية الظاهرة على طهارة الأفنية الباطنة وهي القلوب والأرواح[(٢)]. والمراد من تطهيرها رفع الأقذار. (فإن اليهود لا تطهر أفنيتها) ومخالفتهم مراده في مثل هذا، أو ليكون تفرقة بين دوركم ودورهم للناظر[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط باب العين من اسمه علي برقم -٤٠٥٧ - وقال عنه: لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا إبراهيم، ولا عن إبراهيم إلا أبو داود، تفرد به: زيد بن أخزم (٢٣١/٤)، وقال عنه الألباني في "السلسلة الصحيحة (صحيح) رقم - ٢٣٦- الكتاب: السلسلة الصحيحة المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (٤٧٢/١).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي (٢٧١/٤).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٣٩/٧).

- "تطهير الطرقات وأماكن التجمع كالمدارس والملاعب والحدائق العامة والمستشفيات والمساجد وغيرها، وهذه لها دور في نشر الأوبئة إذا أهملت.

- **فوائد المشي إلى بيوت الله: يقول رسول الله (ﷺ): «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ[1]، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[2].** السعي إلى بيوت الله تعالى كل يوم في أوقات معلومة متقطعة، يكفي لتمرين العضلات وتنشيط الأوصال وتحسين حالة الجسم العامة، كما أن المشي إلى المساجد يساهم في الوقاية من الأمراض التي سببها الخمول وكثرة الجلوس وعلى رأسها السّمنة؛ لأن المشي يعمل على إذابة الشحوم والدهون، كما أن المشي علاج لأمراض القلب حيث إنه يعطي القلب -بإذن الله- القدرة على العمل وتحمل الجهود، حيث تكون الدورة الدموية أكثر انتظامًا. كما أن المشي إلى المسجد علاج للتعب الذهني والتفكير الطويل؛ إذ أنه يعيد العقل إلى حالته الطبيعية، ويساعد على الاسترخاء العصبي والعضلي، وبالجملة ففي المشي إلى بيوت الله تعالى من الفوائد الصحية الشيء الكثير مما أبان عنه الطب الحديث.

- الأمر بإطفاء المصابيح، وإغلاق الأبواب، وتغطية الأنية، وعدم ترك النار. قال (ﷺ): «أَطْفِئُوا المَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ،

---

(١) (إسباغ الوضوء على المكاره) معناها: المكاره جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه والكره بالضم والفتح المشقة والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء. صحيح مسلم (٢١٩/١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب الطهارة - باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره برقم - ٤١ - (٢١٩/١).

وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ»[١]. وعَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «لاَ تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ»[٢].

– **النهي عن البصاق على الأرض:** البصاق: هو اللعاب الحامل لكثير من الجراثيم والميكروبات، ولهذا يعمد الأطباء إلى تحليله لتشخيص نوع المرض. وعن النبي (ﷺ) قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ"[٣]. والمعني: إماطةُ الأذى عن الطريق من جملة الحسنات، وإلقاءُ البزاق في المسجد من جملة السيئات، إذا لم "يدفن"؛ أي: لم يستر[٤]. وقوله (ﷺ): "البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا"[٥]. لأنه بذلك يقذّر المسجد، ويتأذى به من تعلق به.

– منع اقتناء الكلاب إلا للضرورة: وهذا لا يعني عدم الرفق بالحيوان، ولكن الإسلام بالإنسان أرفق، وقد أثبت العلم الحديث أن الكلاب تنقل أمراضا كثيرة

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه باب تغطية الإناء – كتاب الأشربة برقم – ٥٦٢٤ – (١١٢/٧).

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه باب: لا تترك النار في البيت عند النوم –كتاب الاستئذان برقم –٦٢٩٣ – (٦٥/٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه –باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٥٣) (٣٩٠/١).

(٤) المفاتيح في شرح المصابيح (٦٩/٢).

(٥) رواه الإمام البخاري في صحيحه – باب كفارة البزاق في المسجد – كتاب الصلاة برقم –٤١٥ – (٩١/١).

للإنسان كداء الكلب[1]، وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): «طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»[2].

فيجب استعمال التُّراب في مرة من السبعة أيةَ مرةٍ كانت، وهذا؛ لأن التُّراب طَهور في التيمم، والماء طَهور، فيجب استعمال الطهورين في ولوغ الكلب؛ لكون نجاسته أغلظَ النجاسات[3]. الحديث دليل على نجاسة الكلب، وهذا من باب التنظيف، وإزالة آثار هذا الولوغ تكون سبع غسلات، إحداهن بالتراب امتثالا لقول الرسول (ﷺ).

- **قتل الحيوانات التي تؤذي البشر وتضرهم** لقول رسول الله -(ﷺ): "خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ: الغُرَابُ، وَالحِدَأَةُ، وَالفَأْرَةُ، وَالعَقْرَبُ، وَالكَلْبُ العَقُورُ"[4]، أبيح قتلهن لخروجهن لما عليه سائر الحيوان، لما فيهن من الضرر، وكأنه نبه بالعقرب على ما يشاركها في الأذى من السبع ونحوه من ذوات السموم: كالحية والزنبور، وبالفأرة على ما يشاركها في الأذى بالنقب والقرض: كابن عرس، وبالغراب والحدأة، على ما يشاركهما في الأذى بالاختطاف كالصقر، وبالكلب العقور على ما يشاركه في الأذى بالعدوان والعقر: كالأسد والفهد، ومن علل بتحريم الأكل، وإنما اقتصر على الخمس لكثرة ملابستها للناس بحيث يعم أذاها"[5]. ويؤخذ منه: مشروعية قتل ما فيه

---

(١) تفوق الطب الوقائي في الإسلام (ص:٢١).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب حكم ولوغ الكلب كتاب الطهارة برقم (٢٧٩) (٢٣٤/١).

(٣) شرح المصابيح لابن الملك (٣١٣/١).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه -باب ما يقتل المحرم من الدواب- كتاب جزاء الصيد برقم- ١٨٢٨- (١٣/٣).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨٠/١٠).

أذية من الحيوانات والحشرات، كالحيَّة، والذئب، والأسد، والنسر، والعُقاب والبرغوث، والقراد أخذًا من معنى الحديث، الذي أباح قتلهن من أجل فسقهنَّ، وقد نصَّ على بعضها(١).

وبهذا يوجه الإسلام الإنسان إلى المحافظة على صحة المجتمع وحماية البيئة. فيأمره بقتل الهوام التي تؤذي الناس وتضرهم، وهذا يعتبر من مقاصد الشريعة الإسلامية وأولي أولوياتها الحفاظ علي حياة الإنسان وماله وعرضه تكريما له؛ ولذلك أجاز الشرع قتل بعض الحيوانات المؤذية التي تعتدي علي حياة الإنسان وممتلكاته فتحميه وتحافظ عليه من الأضرار والأمراض.

– "الاهتمام والحذر من وسائط نقل الأوبئة: وهي بشكل رئيس مثل: الهواء وينقل الخناق والسل، والماء وينقل الكوليرا والبلهارسيا، والطعام وينقل التسمم"(٢)، وقوله (ﷺ): «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»(٣). قد أثبت الطب الحديث أن النبي (ﷺ) هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية ، فقد تبين أن الأمراض المعدية تسرى في مواسم معينة من السنة، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات ، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن.. من أمثلة ذلك: أن الحصبة، وشلل الأطفال، تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفود يكثر في الصيف والجدري...

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٨٥/٤).

(٢) تفوق الطب الوقائي في الإسلام (ص:٢١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب برقم ٩٩ – (٢٠١٤) – (١٥٩٦/٣).

وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول (ﷺ): "فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ "أي أوبئة موسمية ولها أوقات معينة. وهذا من المعجزات الطبية التي جاء بها رسول الله (ﷺ).

– وبذلك يكون الإسلام قد عنى عناية فائقة بالنمو الجسمي للإنسان عن طريق التغذية السليمة، والعناية بنظافته ووقايته من الأضرار، وطلب العلاج مما يصيبه من أمراض، والمحافظة على نظافة البيئة ووقايتها من مسببات الأمراض والأوبئة.

الخاتمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيد فضله وإحسانه، اللهم لك الحمد علي ما أنعمت به على من حسن تمام هذا البحث، وأسألك المزيد من فضلك، ودوام توفيقك يا أكرم مسئول وخير مأمول.

وبعد،،،

فقد كان من نتائج كتابة موضوع (التدابير الوقائية من الأمراض والآفات في ضوء القرآن الكريم) التوصل إلى النتائج الآتية:

– ضرورة الأخذ بأسباب العلاج في حال المرض. فمن حكمة الله (ﷻ) ابتلاؤه بعض عباده بأنواع من الأمراض والأسقام، وهذا الابتلاء قد يكون لتكفير السيئات، وحطّ الخطايا، ورفع الدرجات، لمن صبر ورضي، واطمأنّ لقضاء الله وقدره، والله (ﷻ) شرع لنا أخذ الأدوية النافعة، لعلاج أي مرض من الأمراض، يقول تعالي: **{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}**[1] وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ (ﷻ)»[2]، وعنه (ﷺ) قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[3]. فيوجه الإسلام إلى ضرورة الأخذ بأسباب العلاج في حال المرض.

---

(١) [الشعراء: ٨٠].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب السلام –باب لكل داء دواء واستحباب التداوي برقم ٦٩ – (١٧٢٩/٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب الطب –باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء برقم– ٥٦٧٨ – (١٢٢/٧).

- المؤمن حينما يأخذ بأسباب العلاج يأخذها مع ثقته بالله ورضاه بقضاء الله وقدره، وعلمه الكامل بأن هذه الأسباب لا أثر لها إلا بإرادة الله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}(١). فالأخذ بالأسباب لا ينافي توكّله على الله، بل فعله للأسباب من توكّله واعتماده على ربّه (ﷻ)، والبشرية اليوم والعالم كله يعاني من وباء وفيروس الكورونا (كوفيد ١٩)، حيث وصل هذا الوباء إلي كل بقاع الأرض، وبلغت الإصابات والوفيات أعداداً كثيرة، وهذا الوباء أظهر عجز البشر وفقرهم وضعفهم عن مقاومة ودفع هذا المخلوق من مخلوقات الله تعالي، ولولا رحمة الله بعباده ولطفه بهم لحصد هذا الوباء مجتمعات بأكملها.ولقد حذر الإسلام من عقوبات الذنوب والمعاصي التي يرتكبها البشر، ومحاربة الله بالمعاصي والمجاهرة بها ومخالفة أوامره ونواهيه.

- بيان سنة الله في خلقه، يقول تعالي: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**(٢). وقوله: **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}**(٣)، وقوله: **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**(٤)، هذه الآيات تشير إلي سنة الله في خلقة، ولعله يكون سبب في الرجوع إلي دين الله بعد ما كثرت المعاصي والطغيان والظلم بين العباد، والإسلام شرع للناس سبلا للوقاية والعلاج من الأمراض والآفات من هذه الأمور:

---

(١) [التكوير: ٢٩].

(٢) [الروم: ٤١].

(٣) [النحل: ١١٢].

(٤) [السجدة: ٢١].

⇐ الدعاء والتضرع إلي الله لرفع البلاء يقول رسول الله (ﷺ) «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا بَعْدَ الْيَقِينِ شَيْئًا خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ، وَلا تَقَاطَعُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ (عَزَّوَجَلَّ)»(١).

⇐ التوبة والاستغفار ورد المظالم والحقوق إلى أهلها يقول تعالي: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**(٢).

⇐ وقال رسول الله (ﷺ): "مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"(٣).

⇐ **التحصين بالعبادة والأذكار: يقول النبيَّ (ﷺ):** "إذا خرجَ الرجُلُ من بيته، فقال: بِاسْمِ الله، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله" قال: "يُقالُ حينئذٍ: هُدِيتَ وكفيتَ ووُقِيتَ، فتتنحَّى له الشياطينُ، فيقول شيطانٌ آخرُ: كيفَ لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووقي؟"(٤).

⇐ الصبر والاستسلام لله والرضا بقضائه وقدره، والالتزام بأمر الله وأمر رسوله (ﷺ) عند المصائب. ولقد مدح الله نبيه أيوب (عليه السلام) بقوله: **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ**

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده – مسند الخلفاء الراشدين – مسند أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) برقم ٣٤ – وقال عنه المحقق: أحمد محمد شاكر: اسناده صحيح (٢١٠/١).

(٢) [الأنفال: ٣٣].

(٣) رواه ابن ماجه في سننه ت الأرناؤوط– أبواب الأدب – باب الاستغفار برقم –٣٨١٩– وقال عنه المحقق: إسناده ضعيف لجهالة الحكم بن مصعب. (٧٢١/٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ت الأرناؤوط سنن أبي داود ت الأرناؤوط (١٥٣/٧) كتاب الأدب – باب ما يقول إذا خرج من بيته برقم– ٥٠٩٥ – وقال عنه المحقق: حديث حسن بشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات (٤٢٥/٧).

صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[1]، وقوله: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}**[2]، وقوله: **{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**[3].

⇐ رغم أن الأمراض والأوبئة قضاء وقدر يصيب الأفراد والمجتمعات، إلا أن الإسلام نبه المؤمنين إلى ضرورة المحافظة على وقاية أنفسهم من خطورة الأمراض وخاصة المعدية منها، وأن سياسة العزل واجبة الإتباع في المجتمعات الإسلامية إذا تعرضت لأخطار الأوبئة، وفي ذلك عندما أخبر عبد الرحمن بن عوف عمر بن الخطاب بقول رسول الله (ﷺ) «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[4]. وهذا الحديث الشريف هو أساس (الحَجر الصحي) الذي لم يُعرف إلا في العصر الحديث، فإذا وقع وباء مُعدٍ في بلدٍ ما يُضرب عليه (حجر صحي)، فلا يدخل إليه أحد خوفاً من أن يرمي بنفسه إلى التهلكة فيصاب بالوباء، و لا يسمح لأحد من داخله بالخروج خوفاً من أن يكون مصاباً بالمرض، و لا يزال في دور الحضانة، فينقل الوباء إلى خارج البلد و يعم انتشاره في الأرض؛ لذلك لا يسمح بخروج أي شخص إلا بعد أن يلقح ضد جراثيم هذا الوباء، هنا نرى الرسول (ﷺ) يأمر بعملية الحصار للمرض المعدي إذا أصاب فردا، أو بلدا كما تفعل الدول اليوم، عندما ينتشر مرض معدٍ في بلد ما علينا منع التنقل بين هذه

---

(١) [ص: ٤٤].

(٢) [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

(٣) [التغابن: ١١].

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الطب–باب ما يذكر في الطاعون بـــرقم – ٥٧٣٠ – (١٣٠/٧).

البلد والبلاد الأخرى، ومنع الأفراد المصابين بمثل تلك الأمراض من الاتصال بغيرهم.

⇐ الأمر بتوجيه المسلم إلى العناية بنفسه ومحيطه، وإرشاده إلى أن المحافظة على نعم الله التي أنعم بها على خلقه، هي جزء من مرضاة الله (ﷻ)؛ ولذلك فإن الماء والهواء والأشجار والحيوان هي مصادر مهمة للحياة، يستخدمها الإنسان في حياته وينفذ من خلالها إلى مرضاة ربه إن هو حافظ عليها، وحافظ على حقوق الآخرين فيها، وينال سخط الله وغضبه إن عبث بها ومنع الآخرين من الاستفادة منها.

⇐ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ترشد المؤمن إلي ضرورة التداوي وطلب العلاج من الأمراض والأوبئة، ومتابعة المراكز الصحية المسئولة لتشخيص المرض، والاستعانة بالأطباء ومتابعة إرشاداتهم التي تساعد على منع انتقال العدوى بين الناس، والالتزام والاستعانة بالعلاج والأدوية التي يوصي بها ويصفها الأطباء للمرضي.

⇐ قوة الإيمان له أثر في الوقاية من الأمراض: يقوي الناحية النفسية ويحمي من أمراض القلوب، وينشط جهاز المناعة، فيصبح الجسم أقدر على مقاومة الأمراض، علاوة على أن الإسلام يعتبر المرض مكفر للذنوب، وبهذا المعني يقول (ﷺ): «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب- باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم (٢٥٧١) (١٩٩١/٤).

هذه التدابير الوقائية إذا تفكر فيها الإنسان بقلبٍ خاشعٍ، وعقلٍ واعٍ، كان ذلك كافيًا، لأن تتهيأ نفسه للدخول في الصلاة، وهي منطلقة إلى آفاق نورانيةٍ رحبةٍ، لتتم الصلة القوية بالله تعالى، وتُؤتي الصلاة وباقي العبادات ثمارها المباركة للنفس والروح والبدن.

أهم التوصيات والمقترحات التي أردت ذكرها وأسأل الله العلي القدير أن يعين على تنفيذها:

❖ نشر ثقافة الأخذ بالتدابير الوقائية الموجودة في كتاب الله (ﷻ) في المعاملات اليومية التي يتعرض لها الفرد من خلال مجتمعه، والمحيطين به، فيقوم بيان الآيات القرآنية، التي تحث على الأخذ بالتدابير الوقائية في كتابه (ﷻ) بالوسائل الحديثة.

❖ تطبيق وممارسة الأخذ بالتدابير الوقائية الموجودة في كتاب الله (ﷻ) بين الناس بشرائحهم وتياراتهم، وصنوفهم، وأشكالهم، يكون من خلال الخطب والدروس والمحاضرات والندوات والعلاقات؛ لنكون مضرب المثل في التطبيق العملي؛ لأن الدين الإسلامي يسر وليس عسر.

❖ **مخاطبة المريض بما يفهم: والحقيقة أن هذا أصل شرعي في الخطاب التعليمي كما روت أمنا السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت:** "كان كلامُ رسولِ الله (ﷺ) كلاماً فَصْلاً، يفْهَمُهُ كلُّ مَنْ سَمِعهُ"(١)، مع مراعاة مصلحة المريض، فلو أن الطبيب شخص حالةً مرضية وبائية للمريض بحيث لو ترك أدي إلي نشر الوباء ما لم تُتخذ التدابير الوقائية اللازمة، فإن التستر على المريض – لأجل مصلحته الخاصة – قد يضر بالمجتمع من حيث تسهيل انتشار المرض، وعدم

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب الهَدْي في الكلام برقم –٤٨٣٩ – وقال عنه المحقق: شعَيب الأرناؤوط إسناده حسن (٢٠٨/٧).

العمل على الحد منه، وعليه أن يعمل لعدم إهدار مصلحة المجتمع؛ لأنه لا ضرر ولا ضرار؛ وعليه أن يكون مخلصاً فيما يقدمه للمريض من وسائل التشخيص والعلاج.

❖ القيام بالدور الأزهري ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة المعتمدة على كتاب الله وسنة الحبيب المصطفي (ﷺ) في نشره العلم الصحيح من خلال موقعه كمعهده وجامعته، ومن خلال المساجد والوسائل الحديثة التي تساعد في عملية التثقيف السليم للمجتمع.

❖ تكوين قافلة دعوية وأخري طبية تقوم بعمل مشترك ومنظم تكون بصفة دورية؛ لتعليم الناس هذه التعاليم الوقائية الإسلامية لحمايتهم والحفاظ عليهم من الأمراض والآفات.

وإن مجموعة التدابير الوقائية في الإسلام رغم كمالها وكفايتها الصحية للفرد والمجتمع، ورغم سهولة تنفيذها، إلا أنها لا تؤتي ثمارها إذا ترك المسلم الالتزام ببقية الأحكام الشرعية الأخرى فهي جزء من نظام كامل متكامل ينفع البشرية إذا التزمت به في حياتها، أما حال المسلمين اليوم لا يسمن ولا يغني من جوع ففيه نوع من التخبط وهدر للوقت والجهد، فترك الصيام مثلا يرافقه ترك للصلاة، وترك الصلاة يسقط فريضة الوضوء وفريضة الغسل من الجنابة، كما يسقط سنة السواك وسنن الفطرة.فالتنازل عن حلقة يجر إلي التنازل عن عدة حلقات غيرها حتى ينفرط عقد السبحة عن آخره"[1].

وأخيراً فإنني أقدم هذا العمل المتواضع، والذي بلا شك عمل بشري لا يخلو من نقص؛ لأن الكمال لله وحده، مع أنني بذلت وسعي لإخراجه بالصورة

(١) تفوق الطب الوقائي في الاسلام (ص:٣١).

المرضية، فإن أحسنت فمن الله، وله الفضل أولاً وأخراً، وإن قصرت فذلك مني...

وفي الختام: أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به دنيا وأخري، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلي الله وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم – جل من أنزله ـ

١. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، المؤلف: محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢. أحكام **العبادات في التشريع الإسلامي**، المؤلف: فايق سليمان دلول ٢٠٠٦م–١٤٢٧هـ الناشر: مركز الأصدقاء للطباعة ـ غزة – فلسطين.

٣. **أحكام القرآن للجصاص**، ت قمحاوي، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

٤. **الأدب المفرد بالتعليقات**، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٥. **الأدب النبوي**، المؤلف: محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣هـ.

٦. **الأساس في السنة وفقهها – العبادات في الإسلام**، المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٧. **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، للمؤلف: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة (رحمه الله) الناشر: مكتبة السنة الطبعة الرابعة.

٨. **الإسلام خواطر وسوانح**، تأليف الكونت هنري دي كاستري ترجمه من اللغة الفرنسية: أحمد فتحي زغلول، قدم له وعلق عليه د. محمود النجيري الناشر: مكتبة النافذة الطبعة الأولي ٢٠٠٨م، دار طيبة للطباعة –الجيزة.

٩. **الإسلام والوقاية من الأمراض**، تأليف د. عز الدين فراج، مكتبة أبو العيس الالكترونية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م–١٤٠٤هـ.

١٠. الأعلام للزركلي الناشر: دار العلم للملايين–الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

١١. **إكمال المعلم بفوائد مسلم = شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى**، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)–المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل– الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر–الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٢. **الأمراض الجنسية عقوبة إلهية**، د. عبد الحميد القضاة اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال (بريطانيا) الطبعة الثانية – ٢٠٠٦م–١٤٢٦هـ.

١٣. **أمراض القلوب وشفاؤها**، للمؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: المطبعة السلفية –

القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٤. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان- الناشر: الدكتور: حسن عباس زكي – القاهرة – الطبعة: ١٤١٩ هـ – ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٥. **التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل**، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

١٦. **تاريخ بغداد**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق الدكتور: بشار عواد معروف – الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

١٧. **التبصرة لابن الجوزي**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد الناشر: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، سنـ١٣٩٠هـ سنة النشر: ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

١٨. **التحرير والتنوير**، الطبعة التونسية، المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

١٩. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٠. **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،**

المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١. **تفسير الألوسي = روح المعاني**، ط أحياء التراث، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٢. **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٣. **تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) –المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ (١١/٣)

٢٤. **تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل**، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) دار النشر: دار الفكر بيروت – سنة ١٣٩٩هـ.

٢٥. **تفسير الرازي = مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢٦. **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٧. **تفسير القاسمي = محاسن التأويل**، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٢٨. **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

٢٩. **التفسير المظهري**، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.

٣٠. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) – (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

٣١. **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، المؤلف الشيخ العلامة: محمد الأمين الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي – الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٢. **تفوق الطب الوقائي في الإسلام**، تأليف د. عبد الحميد القضاة اختصاصي علم الجراثيم والأمصال مستشار الطب الوقائي في المستشفى الإسلامي (مدير المختبرات التخصيصية – أربد) من الأبحاث المختارة في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي فين والسنة –الجامعة الإسلامية العالمية –إسلام أباد ٢٣–٢٦ صفر ١٤٠٨هـ١٧–٢٠ أكتوبر

١٩٨٧م – الطبعة الأولي محرم ١٤٠٨هـ أيلول ١٩٨٧م. بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية.

٣٣. **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)– الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر–عام النشر: ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

٣٤. **التنوير شرح الجامع الصغير**، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٣٥. **تهذيب اللغة**، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)–المحقق: محمد عوض مرعب –الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٦. **توضيح الأحكام من بلوغ المرام**، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٣٧. **التوقيف على مهمات التعاريف**، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)–الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة–الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م

٣٨. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة: الأولى الجزء [٦، ٧]: ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٣٩. **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير

بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٠. **الجامع لأحكام القرآن المسمى بـ تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤١. **الجرح والتعديل لابن أبي حاتم**، للمؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.

٤٢. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)-الناشر: السعادة بجوار محافظة مصر دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٣. **زهرة التفاسير**، المؤلف: محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي

٤٤. **سبل السلام**، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) الناشر: دار الحديث.

٤٥. **السلسلة الصحيحة**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

٤٦. **سنن ابن ماجه**، المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد

الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت. وبطبعة: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٧. **سنن أبي داود**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م. وطبعة: المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد–الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٤٨. **سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١،٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤،٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٤٩. **السنن الكبرى**، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٥٠. **السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة**، المؤلف: أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٥١. **شرح الطحاوية**، ط الأوقاف السعودية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: أحمد شاكر الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة

والإرشاد الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٥٢. **شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»**، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي–الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ ١ – ٥]–– دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ – ٤٠] ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م– الطبعة: الأولى.

٥٣. **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، المؤلف: محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (المتوفى: ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٥٤. **شعب الإيمان** – البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٥٥. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار–الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

٥٦. **صحيح البخاري =الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي–المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر–الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٧. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:

١٤٢٠هـ) طبعة: المكتب الإسلامي.

٥٨. **صفة الصفوة**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)-الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م- تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي.

٥٩. **صيد الخاطر**، المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) بعناية: حسن المساحي سويدان الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٠. **الطب النبوي لابن القيم ط الفك**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: عبد الغني عبد الخالق الناشر: دار الفكر بيروت.

٦١. **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، المؤلف: محمد الأمين الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.

٦٢. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٦٣. **العين**، لمؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٦٤. **غريب الحديث للخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)**، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي - خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي-

الناشر: دار الفكر – دمشق عام النشر: ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٦٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ (٣٣٩/١٠).

٦٦. **فقه السنة** المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٦٧. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٦٨. **كتاب العين**، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال (٨/ ٤١٨).

٦٩. **الكتاب**، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون– الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م.

٧٠. **كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري**، المؤلف: محمَّد الخَضِرالشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٧١. **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)– الناشر: دار صادر – بيروت –الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٧٢. **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، المؤلف: جهاد التُرباني، تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، الناشر: دار التقوى

للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٧٣. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)–المحقق: حسام الدين القدسي –الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة – عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٧٤. **المحكم والمحيط الأعظم**، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧٥. **مختار الصحاح**، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧٦. **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الحادية عشرة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٧٧. **المذكر والمؤنث**، المؤلف: أبو بكر، محمد بن القاسم الأنباري (المتوفى: ٣٢٨ هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة مراجعة: د. رمضان عبد التواب الناشر: جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث سنة النشر: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٧٨. **المستدرك على الصحيحين**، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ–

١٩٩٠م.

٧٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**–المؤلف: أبو عبد الله أحمد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)–المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة–الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. وطبعة بتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون–إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي–الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٠. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** (ﷺ) المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)–المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي–الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٨١. **معاني القرآن وإعرابه للزجاج/ معاني القرآن وإعرابهم**، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (٣/ ٤٢٣).

٨٢. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)– المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني–الناشر: دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥هـ.

٨٣. **المعجم الصغير**، الروض الداني - المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني– الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م - تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

٨٤. **المعجم الكبير**، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني–الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل–الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٣م. تحقيق: حمدي

بن عبدالمجيد السلفي.

٨٥. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المؤلف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨٦. **المعجم الوسيط**، المؤلف: إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار دار النشر: دار الدعوة - تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٨٧. **معجم ديوان الأدب**، المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر - مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس -طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة عام النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٨. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٨٩. **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون-الناشر: دار الفكر -عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٠. **المفاتيح في شرح المصابيح**، المؤلف: الحسين بن محمود بن الحسن، الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧هـ)-تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب-الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية -الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٩١. **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، المؤلف: حمزة محمد قاسم،

راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٩٢. **مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، وفضائل، ومنافع، وفوائد، وشروط، وأركان، وواجبات، وآداب، ومسائل، وحِكَمٌ، وأحكامٌ**، المؤلف: د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، الناشر: مركز الدعوة والإرشاد، القصب، الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٩٣. **المنتقى شرح الموطإ**، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ) الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ.

٩٤. **المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود**، المؤلف: محمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب (مِن بعد الجزء ٦)، الناشر: مطبعة الاستقامة، القاهرة – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥١ – ١٣٥٣هـ.

٩٥. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي– الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت –الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٩٦. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري

ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي.

٩٧. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، المؤلف: أبو الحسن الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٨. **وفي الصلاة صحة ووقاية**، تأليف د / فارس علوان. جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٤٤٧
الملخص باللغة الإنجليزية	١٤٤٩
المقدمة	١٤٥١
التمهيد: معني التدابير الوقائية – التعريف بالأمراض والآفات والفرق بينهما	١٤٥٨
المبحث الأول: التدابير الوقائية في العبادات	١٤٧٧
• **المطلب الأول:** التدابير الوقائية في الطهارة	١٤٧٧
• **المطلب الثاني:** التدابير الوقائية في الصلاة.	١٤٩٠
• **المطلب الثالث:** التدابير الوقائية في الزكاة	١٤٩٤
• **المطلب الرابع:** التدابير الوقائية في الصيام	١٤٩٩
المطلب الخامس: التدابير الوقائية في الحج	١٥٠٢
المبحث الثاني: وقاية القرآن لصحة الفرد وحمايته من الأمراض والآفات	١٥٠٩
• **المطلب الأول:** التغذية الصحية الوقائية	١٥٠٩
• **المطلب الثاني:** المحرمات من الأطعمة والأشربة	١٥١٧
المبحث الثالث: وقاية القرآن لصحة المجتمع وحماية البيئة من	١٥٢٧

الأمراض والآفات	
• **المطلب الأول:** منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان	١٥٢٧
• **المطلب الثاني:** النهي عن دخول الأرض الموبوءة أو الخروج منها	١٥٣٦
الخاتمة	١٥٤٩
فهرس المصادر والمراجع	١٥٥٧
فهرس الموضوعات	١٥٧٣